الخطر الأسود

رواية

الخطر الأسود

رواية

راضي عبده – وائل عبد الرحيم

تحرير ومراجعة لغوية: سحر الصياد

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٢٧٦١

تدمك: ٦-٦٥-٦٧٩٨-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: أحمد المهدي

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما - أمام جنينة مول - مدينة نصر

Alfouad_Publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

الخطر الأسود

رواية

راضي عبده
وائل عبد الرحيم

الفؤاد للنشر والتوزيع

إهداء

إلى شهداء مصر الأبرار على مر العصور ، الذين دافعوا بأرواحهم الطاهرة عن تراب الوطن الغالي في جميع ربوع البلاد ، وسالت دماؤهم الزكية على ثراه المقدس ، لتروي زهرة النصر المبين..

إلى الشهيد البطل/ عبد الرحمن عادل عبد الرحمن عبده ،

الذي سطر في ذاكرة الوطن بطولة نادرة ، لأعظم معاني التضحية والفداء ،

ولكم أفخر وأتشرف بكونه صديقي وجاري العزيز جدا.

طيّب الله ثراه ، وأنزل عليه شآبيب رحمته.

راضي عبده

إهداء

إلى روح أمي الغالية ، أول من علمني القراءة وحببني فيها ، وبفضلها صرت كاتبًا.

إلى أبي وأشقائي وزوجتي وأبنائي.. أنتم كل أسرتي ولكم كل ما أكتب.

إلى فريق صرخة فزع ، رفقاء الكفاح.

إلى الجمعية المصرية لمحبي أدب الخيال العلمي ، رعاة أدب الخيال العلمي في مصر.

إلى روح الفقيدين العظيمين د. نبيل فاروق ود. أحمد خالد توفيق ، أساتذتي وملهميني الأوائل وعلى الدوام.. لروحيكما السلام.

وائل عبد الرحيم

الفصل الأول

خلت الشوارع أو كادت من المارة في تلك الساعة المُتأخرة من الليل، وبدا ذلك الشخص النحيل طويل القامة، الذي تشي ملامحه بالصرامة والقسوة، بوجه يغزوه نمش غزير، وذو ندبة طولية في صدغه الأيسر، وشعر أصهب معقود خلف عنقه برباط مطاطي، غادر ذلك الملهى الليلي الوضيع الذي تصدر منه أصوات صاخبة، وسار في خطوات أقرب للعدو حتى وصل لسيارته الفارهة فاستقلها ثم انطلق بها دون إبطاء حتى أن صرير إطارات السيارة كان يُسمع من بعيد..

أخرج لفافة بانجو أشعلها وراح يُدخنها في شراهة قوية، وأخذ يسعل كل حين وآخر قبل أن تأخذه النشوة فدندن بصوته الأجش الغليظ نفس الكلمات المُنبعثة من كاسيت السيارة للون غنائي انتشر في الآونة الأخيرة انتشار النار في الهشيم، يسمونه مهرجانات شعبية..

لم يكد يصل إلى وجهته حتى أوقف سيارته أمام بناية فاخرة شاهقة الارتفاع، نفث آخر دخان اللفافة ثم غادر السيارة، واتجه نحو البناية بزهو شديد، وفي طريقه رمق حارس البناية العجوز الذي يرقد نائما بجوار المدخل يلتحف بعباءة صوف، يتقي بها البَرد القارس، وقد انتظمت أنفاسه، لم يكترث له واتجه مباشرة إلى المصعد واستقله نحو الطابق العاشر، وهناك غادره وتوقف

لحظة في ممر الطابق، وضاقت حدقتاه وهو يتلفت حوله وبصره يدور في حذر وإمعان..

وأمام باب الشقة الوحيدة في الطابق أخرج من الجيب الداخلي لمعطفه الجلدي زوجًا من القفازات الجراحية المطاطية، وسلكًا رفيعًا بنهاية معقوفة، تقفَّز ثم دس السلك الخاص في ثقب المفتاح، وراح يحركه يمينًا ويسارًا في مهارة حتى صك سمعه صوت لسان الرتاج ينزلق إلى الداخل، فابتسم لتلتمع عيناه في خيلاء، قبل أن يدفع الباب في حرص ويدلف في سرعة إلى داخل ردهة الشقة، ثم أغلق الباب خلفه في هدوء..

لتبلغ مسامعه موسيقى إيقاعية مُجلجلة تردد صداها في جنبات الشقة تنبعث من داخل حجرة النوم، تُصاحبها ضحكات أنثوية رقيعة، وتحت الأضواء الخافتة للردهة استغرق بعض الوقت في تفكير عميق، ثم ضرب قبضته في راحته، وبرقت عيناه وهو يلمح تمثالًا ثقيلًا من البرونز على منضدة مُذهبة، رفعه عاليًا وهوى به ليسقط مرتطمًا بالأرضية الملساء مُحدثًا دويًا شديدًا، ثم توارى بسرعة خلف إحدى الستائر المُنسدلة بالردهة.

على إثر الضجة التي أثيرت خرج من غرفة النوم شاب حليق الذقن، وسيم الملامح، يرتدي ملابسه الداخلية، جال ببصره في أرجاء الردهة مُتفحصًا، قبل أن يلحظ التمثال الساقط فيلتقطه ويضعه في مكانه، وهو يتساءل مغمغمًا لنفسه مبهوتًا:

- ما الذي تسبب في سقوط التمثال ياترى؟!

لم يتلقَ جوابًا يُذكر، فدار على عقبيه للعودة من حيث آتى، ولكن ما إن همَّ أن ينحني في المنعطف القصير المؤدي إلى الحجرة حتى فوجئ بجسد الُمتسلل يصطدم بجسده، ظهر أمامه فجأة وكأنه نبت من العدم!

وبدون ان يعطي المتسلل للشاب فرصة للدهشة أو حتى الذعر بادره بطعنة غائرة في بطنه من خنجره الحاد، فكاد شعر حاجبي الشاب أن يلامس منبت شعر رأسه والذهول يفتك بجوانحه، فتحشرج صوته مع تدفق دمائه من فمه في بشاعة، ثم بقبضة فولاذية أخرج الرجل خنجره من جانب بطن الشاب، الذى سالت دماؤه بغزارة وهو يتهاوى أرضًا، وقد تحجرت عيناه، معلنة صعود روحه إلى بارئها!

أكمل الُمقتحم طريقه، وهجم على غرفة النوم شاهرًا خنجره الحاد أمام وجهه في صرامة، فطالعته خلف الباب أنثى شقراء بارعة الجمال في ثوب نوم أحمر قصير مثير، لم يُعطِها الفرصة لكي تُطلق صرخة واحدة بل أخرسها بأن هوى بيده الحرة على خدها الخمري بصفعة هادرة، وأشار إليها بنظرات شيطانية مُخيفة، وهو يمرر سبابته على رقبته في إشارة تهديد واضحة بأنه سيذبحها كالنعاج إذا قامت بفعل أحمق يثير غضبه، فهزت رأسها مُتفهمة، وبلغ انفعالها ذروته، وهى تُصيح مُتسائلة في ارتياع:

- من أنت؟ وماذا تريد؟!

لوح بخنجره في وجهها، وهو يُجيبها في غطرسة:
- زوجك هو من أرسلني للتخلص منكما أنتِ، وعشيقك الولهان.
حملق متفحصًا في قوامها الفتان المثير، وهو يردف في تهكُم:
- ولأنه أجبن من أن يفعل هذا بمفرده بحث عن من يقوم بالمهمة بدلا منه، ولقد دله أولاد الحلال علي فكلفني بتنفيذ تلك الرغبة نظير مبلغ مُحترم.
شعرت بذعرها يتضاعف فصرخت خلاياها فزعًا، وهتفت به في توسل بنبرة مُتضرعة:
- سأغدق عليك الأموال، سأعطيك أكثر منه، وأعدك بأني لن أخبر الشرطة عن أي شيء، ولكن دعني أحيا.
لعق شفتيه بلسانه في منظر مقزز، وعيناه الثعلبيتان تجوسان في اشتهاء على أرجاء صدرها النافر بنهديها البارزين المفعمين بالإثارة، مُغمغمًا بصوت أشبه بفحيح ثُعبان أرقط:
- سأنظر في أمرك أيتها المرأة اللعوب ريثما أنتهي من إفراغ شهوتي منك، فجمال كجمالك لا ينبغي أن ينتهي قبل أن أستمتع به.
قال عبارته وهو ينقض عليها ويشرع في تجريدها من ثوبها في عنف، ولكنه فوجئ بها تباغته بالهجوم، وتقوم بركله بين فخذيه بكل قواها، فتخلى عنها مرغمًا وهو يزمجر ويتلوى جسده من الألم الشنيع، استنفرت عضلات جسدها الرقيق لتتجاوزه إلى الردهة بمرونة مدهشة، وهناك كبحت شهقة الهلع

بكفيها وهي تُحدق برعب هائل في جثة عشيقها المضرجة في دمائها، فتسمرت قدماها في الأرض عاجزة عن التفكير في كيفية التصرف للخروج من هذا الموقف العصيب، ولم يستمر انتظارها طويلًا حتى خرج إليها القاتل بوجه مُحتقن وبدت عيناه المُحمرتان أشبه بجمرتين مُتقدتين من قلب الجحيم، وهو يُصيح صيحة هادرة في غضب أعمى:

- فليكن أيتها العاهرة العنيدة.. لقد وقعتِ شهادة وفاتك بيديكِ، سأمزق جسدك إربًا بلا رحمة.

اندفعت نحو باب الشقة وهي تصرخ مُستغيثة، فانقض عليها بوحشية ولحق بها، وضم قبضته وهوى بها على مؤخرة عنقها بلكمة عنيفة، ألقتها مترين إلى الأمام لترتطم بالجدار الملاصق للباب، وتسقط فاقدة الوعي على الفور.

وقف يتأملها مليًا وهو يفكر في كيفية جعل الأمر يبدو كجريمة قتل زوجة لعشيقها ومن ثم انتحارها بوسيلة قاسية تجعله يتشفى فيها مع كل لحظة عذاب تمر عليها، وهي تتألم ببطء قبل موتها..

بالطبع لن يقتلها وهي فاقدة للإدراك فهو بذلك يفقد متعة التلذذ بتعذيبها، بل سينتظر أن تسترد كامل وعيها، ثم يباغتها بغمرها في الماء لتُقضي نحبها باسفكسيا الغرق، وهكذا يُشبع ساديته الدفينة مع مصرعها.

ولكنه فكر قليلا وهو ينظر لجسدها المسجى أرضًا أمامه، لقد قاومته تلك الباغية وضربته ضربة كادت تميته، فلينل مراده منها أولًا، وهكذا حمل جسدها واتجه إلى غرفة النوم بلهفة وهو يمني نفسه بلحظات من المتعة.

وبعد نصف ساعة انتهى من فعلته قبل أن تستعيد وعيها، ثم فكر في فكرة شيطانية، سيضع خنجره بين قبضتها ليطبع بصمات أصابعها عليه، قبل أن يُلقيه بجوار جثة العشيق، فعل هذا ثم حمل جسدها العاري بين ذراعيه وذهب بها نحو الحمام، وهناك وضعها داخل البانيو الكبير، وقام بفتح الصنبور إلى نهايته لتتدفق المياه الباردة بغزارة على جسدها، وبمضي وقت قصير أنعشتها المياه فندت منها تأوهات الألم، وأفاقت لتجد القاتل وقد قبضت يده على رأسها في إحكام، فأطلقت شهقة فزع، وصرخت مُتوسلة ثم أجهشت ببكاء حار مرير يكوى نياط القلوب، وهو يقول لها بلهجة شيطان رجيم:

- فلتموتي أيتها الساقطة.

قالها ولم ينتظر منها تعقيبًا، وبأعصاب جليدية لسفاح قُد قلبه من صخر صلد، طفق يدفع رأسها دفعًا ليغمسها في أعماق البانيو الممتلئ عن آخره بالماء، غاص جسدها كله في المياه، فراحت تقاومه في استماتة بكل ما أُوتيت من قوة وعزيمة، وقدماها وذراعاها تضربان الماء من حولها في محاولات يائسة مُتشبثة بالحياة، ولكن شتان الفارق بينه كرجل شديد الشكيمة، وبينها كأنثى ضعيفة،

لذا قد مالت الكفة لصالحه، وهو يدفعها أكثر فأكثر إلى أعماق البانيو، مُحكمًا قبضته على شعرها، واستمرّ هذا الحال لدقيقة كاملة حتى خارت قواها مع انهيار مُقاومتها تمامًا، فتراخت قبضته بعد تأكده من أنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة، ليطفو جسدها فوق صفحة المياه جثة هامدة.

وبمزيج عجيب من النرْجسية والازدراء، أخذ القاتل يُشيع جثتها ناظرًا في مرآة الحمام الداخلية إلى ضحيته التي قتلها بدم بارد، وهو يصفف شعره بعناية ويهندم زيه جيدًا قبل أن يغادر المبني عارجًا إلى سيارته التي استقلها، وأثناء ذلك انطلق عقله يسترجع شريط ذكرياته البعيدة جدًا!

فطافت في مخيلته ذكرى أول جريمة ارتكبها في حياته الحافلة بالتعاسة والشقاء، وهو لا يزال في سنّ الثانية عشر، بعد أن تبناه زوجان لا يُنجبان من إحدى دور رعاية الأيتام، لينشأ في كنفهما مثل ابنهما الذي من صلبهما!

ثم بمرور بضع سنين وبعد أن كاد والداه بالتبني يفقدان الأمل في الآنجاب، رزقهما الله بطفلة جميلة المحيا، وفي أعقاب قدوم المولودة السعيدة تبدلت معاملتهما نحوه وتأرجحت ما بين الغلظة، والبذاءة، والمعاملة الخشنة الجافة خاصة من جهة أمه بالتبني التي جاءت بالقشة التي قصمت ظهر البعير!

عندما نعتته بأقذر الألفاظ من كونه ابن سِفَاحٍ حينما ضبطته مُتلبسًا وهو ينظر إليها خلسة وهى في وضع مُخِلٍّ، فقَدَحها بنظرات الحِقْد والكراهية، ليقرر أن يفجعها، ويفطر قلبها على ابنتها الطفلة الرقيقة البريئة، بعد أن تيقن من أن

إلقاءه في الشارع بات أمرًا محسومًا، وما هي إلا مسألة وقت فحسب، لذا تحين الفرصة مع انشغالهم بعيدًا عن طفلتهم، وجثم على صدرها الضعيف ليعتصر وبكل قواه عنقها البض بيديه العاريتين، وظل قابضًا على عنقها لتختنق وتنتشر في عروق وجهها زرقة مُخيفة، حتى انخلعت قصبتها الهوائية بين كفيه فتركها جثة هامدة، ثم سرعان ما انتزع قُرْطَها الذهبي من أُذُنَيها وانطلق هاربًا إلى حيث الشارع ليحيا منذ ذلك الحين وحيدًا شريدًا بين أقذر وأحط حُثالة للبشر، وفي قلب عالم قاسٍ لا يرحم تحكمه شريعة الغاب، وبين اللصوص وقطاع الطرق بدأ مسيرته الإجرامية، ليقرر بعدها أن يُصبح أعظم قاتل مُحترف في تاريخ مصر كلها..

انتفض جسده لوهلة، وعقله ينسحب من غمار تلك الذكريات السيئة مع وصوله إلى حدود منطقة شعبية قديمة، وهناك ترجل من سيارته ومضى حتى وصل إلى زُقاق مُقفر لا تكاد تضيئُه أعمدة الآنارة المُتهالكة، انعطف إليه بتراخٍ، وبينما هو كذلك إذ تناهى إلى مسامعه صوت خافت يأتي من خلفه مباشرة، فتسمرت قدماه، وتساءل في عصبية متوترة:

- من هناك؟!

فوجئ بمبادرة هجومية من رجل ضخم الجثة، عريض المنكبين، كث الشارب برأس أصلع وملامح غليظة، انقض عليه من الخلف وأمسك معصمه ولواه خلف ظهره في قسوة، ثم أحاط عنقه بذراعه المفتولة

العضلات، حاول بكل قواه التملص ولكن هيهات.. فمهاجمه كان أقوى منه بمراحل، لذا باءت جميع محاولاته بالفشل، وخصمه يستل مطواته واضعًا ذؤابتها على صدره، وهو يهتف بنبرة تهديد مُزيلة بكل مُفردات القسوة والشراسة:

- أيُهما تختار يا (عشري)؟ أموالي أم حياتك؟!

بدا واضحًا معرفته الجيدة لهوية محدثه، فحاول جاهدًا أن يكبح جماح نبضات قلبه المُتلاحقة، وهو يقول في صوت أراده واثقًا ولكن خرج واجفًا مُضطربًا:

- أموالك في الحفظ والصون يا (ثروت)، امنحني فقط بعض الوقت وسأردها لك بعد تحسن أحوالي المادية، وعودة الطلب على خدماتي.

شدد (ثروت) من الضغط على عنقه حتى كاد يختنق، وبدا وكأنه لم يسمعه قط، وهو يهتف في غلظة:

- كلا أيُها المُحتال القذر، أريد الآن نقودي التي تبعثرها يمينًا ويسارًا في سهراتك الحمراء الماجنة. ستعطيني أموالي وإلا قتلتك فورا، وألقيت جيفتك لكلاب الشوارع الضالة.

عض (عشري) على شفتيه، ثم قال في ارتباك ملحوظ:

- ليس في مقدرتي رد الدين هذه الأيام، لذا لو أردت مني مصلحة مُقابل دينك فسأقضيها لك بلا تردد.

صمت (ثروت) لبرهة من الزمن، وهو يزن أمرًا ما في رأسه، قبل أن يقول له بلهجة من اتخذ قراره:

- فليكن يا (عشري) سأتغاضى عن أموالي، ولكن بشرط أن ننجز سويًا مهمة سريعة.

زوى (عشري) ما بين حاجبيه، وسرعان ما انتفخت أوداجه وهو يومئ برأسه موافقًا، ثم قال بعنجهية:

- اتفقنا يا شريكي.

قالها ثم أرهف سمعه جيدًا ل(ثروت) وهو يروي له كافة التفاصيل المُتعلقة بهذه المهمة التي قادتهما إلى منطقة مقابر مُسربلة بالظلام مخيفة، خاصة مع منظر شواهد القبور وظلالها الممتدة التي يُلقيها ضوء القمر وهو مُحاق، والتي من تأثيرها أن تُجمد الأطراف وتثير في النفس البشرية شتى أنواع الخيالات المرعبة، بالإضافة إلى أصوت الزواحف والحشرات، وحفيف أوراق الأشجار التي تُطيرها النسمات..

سارا الهوينى بين المقابر، حتى توقفا عند سياج ضريح تبدو عليه أمارات الحداثة، أو بالأحرى تم ترميمه مؤخرًا، أخذا يتسلقان السياج ليهبطا على الجانب الآخر، وبعد مجهود شاق قاما برفع بلاطة إسمنتية ضخمة تسد مدخل القبر، لينفتح على مصراعيه، مُنبعثة من جوفه رائحة رطبة عفنة زكمت

أنف (عشري) الذي أشاح بوجهه مشمئزًا، وهو يقول في انفعال مُضطرب بصوت أقرب للهمس:

- عجبًا يبدو أن هذا القبر لم يُفتح منذ قرون، كيف يتسنى ذلك وقد استقبل اليوم متوفيًا حديثًا؟!

هز رأسه محاولًا أن ينفض ما علق بها من هواجس، وراح قلبه الواجف يزاول عقله المُغتر في فكرة الآنسحاب فجاوبه بالرفض وأصر على استكمال المهمة، لذا أخذ شهيقًا عميقًا زفره بحُرقة، ثم أردف قائلًا بحزم:

- ثوانٍ أجلب الجثة من المقبرة.

لأول مرة في حياته العريضة ومنذ أن امتهن نبش القبور، وبيع جثث الموتى لطلبة كلية الطب شعر (ثروت) برهبة ومهابة تجتاح خلاياه جعلته يحبس أنفاسه داخل صدره، لذا لم ينبس ببنت شفة وإن بدا متوجسًا خيفة مما يلوح في الأفق، مع تقدم(عشري) في بطء وهبوطه في درجات سلم المقبرة، وهو يضيئ طريقه بواسطة مصباح يدوي أخذ يحركه على نحو عصبي!

وظهر كل شيء هادئًا ساكنًا مع دلوفه إلى جوف القبر، وهناك شعر بقشعريرة باردة تغزو جلده، وهو يبصر على ضوء مصباحه اليدوي جثة مُسجاة في كفن جديد، فتفصد جبينه بعرق بارد سرعان ما انساب على صدغيه بغزارة، وهو يحمل الجثة بروية بين ذراعيه ويهم بصعود الدرج، وفجأة دون سابق إنذار انقطع ضوء المصباح، ليخيم على جنبات القبر ظلام دامس، تضاعف له توتر

(عشري) مع شعوره بشيء ما يشق الهواء بجواره، فأمسك عنقه من جراء إصابته بلدغة مباشرة، انتفض لها جسده من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، فطرح الجثة أرضًا مع تمخض المقبرة عن خلية عناكب سوداء طفقت تنجذب إليه وكأنه مغناطيس ضخم، وتنسَل بهيئتها البشعة من كل حدب وصوب، لتتزايد أعدادها بكثافة في كل لحظة حتى صارت أسرابًا، وأخذت تلدغه لدغات عديدة مؤلمة، جعلته في حالة مزرية للغاية، وبدت عيناه زائغتين، فاستدار محاولًا أن يعود أدراجه، وتحت وطأة استحواذ الهلع على قلبه، دفع لسانه للصراخ مُستغيثًا بصوت مُختنق:

- النجدة.. النجدة يا (ثروت)!

بعينين جاحظتين مُتسعتين عن آخرهما، مع ارتعادة أوصاله في رعب تساءل (ثروت) مُرتجفًا:

- ماذا حدث لك يا صَاحِ؟!

قالها وهاله ما رأى بمجرد أن برز (عشري) خارج المقبرة بجسده المُغطى بأعداد رهيبة من العناكب، ويداه النحيفتان تلوحان في ارتياع بلا حدود، ومع اندفاعه الأرعن تعثرت قدماه في بلاطة القبر ليختل توازنه، فضرب الهواء بذراعيه محاولًا التشبث ب(ثروت) الذي تلقفه بالفعل قبل أن يتقهقر للخلف بحركة حادة، وهو يطلق شهقة قوية، وبدنه يرتعش بعنف مع إصابته بلدغة عنكبوت ثم تبعتها ثانية فثالثة، ليتخلى عن جسد (عشري) الذي هوى

مُرتطمًا بالأرض، وقد ازداد وجهه شحوبًا يُحاكي وجوه الموتى، وانتفض جسده لوهلة ثم تسمرت مقلتاه، وهمدت حركاته تمامًا.

فأطلق (ثروت) ساقيه للريح مزمعًا الفرار، وأخذ يركض بلا هدى في كل مكان يحاول أن يهرب من لدغات العناكب الخطرة، لكنه توقف بغتة بين شواهد القبور بعد أن راحت ركبتاه تصطكان فسقط جاثيًا عليهما، وأنفاسه تتقطع من فرط الذعر، مع إحساسه بالعجز، واكتناف رأسه شعور قوي بالدوار، أبصر ما حوله وإذ به يجد نفسه أمام منزل صغير يتوسط المقابر!

خمن كونه يخص حارس المقابر، وبكل ما تبقت له من قوة دفع نفسه دفعًا نحو الباب وأخذ في طرقه بوهن شديد، فخرج له الحارس الكهل بثيابه الرثة، ولحيته المطلقة الشعثاء، وهو يحدق فيه بعينين جاحظتين ينتابه الشك في أن ما يراه قد يكون هلاوس ليلية، فوجده يتلفت حوله أكثر من مرة، فبسمل وحوقل ثم غمغم ذاهلًا:

- على رسلك يا رجل، ماذا دهاك؟!

أشار إليه (ثروت) بأصابع متهالكة، وكأنما يدعوه إلى الاقتراب منه وشفتاه تلهثان بهمهات خافتة، فتطلع إليه الحارس في دهشة، وهو يدنو منه على نحو غريزي، فامتدت أصابع (ثروت) تضغط على كف الحارس، وفي لهجة أشبه برجل يحتضر غمغم بحروف مُتقطعة:

- الغوث أنا.. م..ش.. ل.. و..

تجمدت الكلمات على أعتاب شفتيه، فعض السفلى مع شعوره بآلام مبرحة في بدنه، وتشنج عنيف في عضلاته، قبل أن تنطلق من حلقه شهقة قوية، ومع تراخي أطرافه وتخاذل قدميه، تهاوى في تهالك على ظهره كالحجر، ليخمد صوته للأبد، وقد فقدت عيناه المُتسمرتان بريق الحياة..

فاغرًا فاه، انحنى الحارس فوقه، وشرع يقيس نبض معصمه فلم يجد لنبضه إيقاعًا يُذكر، فأغلق عينيه في خشوع، ومن ثم هب واقفًا على قدميه، وتراجع للخلف وقسمات وجهه تحمل أسى مريرًا، وأخذ طوفان الأسئلة الحائرة تترى في ذهنه وتوتره يتضاعف في كيفية التصرف في هذه المُصيبة التي ابتلاه الله بها، فهو لا يعرف هويه غريب الأطوار هذا، وما غرضه من القدوم إلى المقابر في هذا التوقيت المُتأخر؟!

وما الشيء الرهيب الذي كان يفر منه، وتسبب في إزهاق روحه بهذه البشاعة؟

عقد العزم على وجوب كشف سر هذا الرجل الغامض قبل طلوع النهار، حينئذ سيُصبح عرضة للمساءلة القانونية بعد افتضاح أمر جثته، لذا التقط كشافًا يدويًا قويًا، وانطلق يقتفي أثره، فتبعه في إصرار وسار بين الدروب وممرات المقابر الضيقة، وعبر شواهد القبور حتى بلغ القبر المنبوش، وللوهلة الأولى اتضح له ما قد حدث عند محاولة سرقة محتويات هذا القبر تحديدًا..

فاليوم ضم القبر جثة شخص كان الناس يتهمونه بالسحر والشعوذة بالرغم من أن كثيرين كانوا يؤمنون ببركاته وبفعله لأعمال الخير بدون مقابل، لم يكن التربي يعلم أي الفريقين كان على حق، ولكن جاء هذان اللصان طمعًا في جثمان الساحر، غير عالمين بالهول الذي كان ينتظرهما، لقد أوقعهما حظهما العاثر في شر أعمالهما ليقضيا نحبهما جراء تحديهما لهذه المقبرة.

تنفس الصعداء وقرر أن يعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، فعاد على الفور إلى منزله وجلب كيسًا من الأسمنت المُمزوج بالجبس ودلوًا محدودًا من الماء، ثم رجع إلى القبر المنشود، وقام بإعادة بلاطة القبر إلى مكانها!

وثبتها جيدًا بخليط الأسمنت والماء، وبمجرد أن فرغ من عمله حمل جثمان (عشري) ووضعه في بقعة خاوية بجوار شاهد قبر قديم تشابكت عليه الأعشاب والنباتات المُتسلقة، ثم جلب جثمان (ثروت) ووضعه جنبًا إلى جنب مع جثمان رفيقه، وجاء بجاروف الحفر، وبعد مجهود شاق صنع حفرة عميقة تتسع لكليهما، بعدها حمل الجثتين وألقاهما تباعًا في قلب الحفرة، وهو يلقي عليهما نظرة وداع طويلة، مُفعمة بالحسرة والندامة، ثم التقط الجاروف وكسح به أديم الأرض وبدأ يرميه على جسديهما الهامدين من أسفل إلى أعلى وهكذا دواليك، حتى وصل إلى الوقت الذي أراد فيه أن يواري وجهيهما بالتراب!

وإذ في نفس هذه اللحظة الفارقة وبتناغم وتوافق مدهش أطلت حدقتا (عشري) من خلف خيط رفيع انفرج بين جفنيه، وانفتح فاهه على اتساعه بشهقة خافتة وأدتها في مهدها حفنة تراب أطبقت على حلقه وفي أعقابها انهدل التراب أكوامًا، ولم يُفطن حارس المقابر لما وقع مع مُضي الحدث سريعًا، حتى فرغ من تسوية الحفرة بالأرض..

ومن المؤكد أن التربي لم ولن يعرف أبدًا حقيقة ما جرى في أعقاب لدغات العناكب التي أدت لإصابة المُجرمان بحالة شلل مؤقت بعد أن أُلقيا في غيبوبة عميقة جعلت إيقاع قلبيهما بطيئًا للغاية، وأفقدتهما إحساسهما بما يدور حولهما، وجعلتهما لا يستطيعان تحريك عضلة واحدة أو حتى أنملة من جسديهما، فكان مصيرهما أن دفنا أحياءً جزاءً بما اقترفا من آثام..

وعلى نحو طارئ ارتجت الأرض بجوار أقدام التربي، فاستبد به القلق المبين، وبلغ منه الآنزعاج مبلغًا، وهو يترقب وقوع أمر جلل، وسرعان ما جحظت عيناه داخل محجريهما وهما تحملقان في ذراع نحيلة معروقة وقد انشقت الأرض عنها، لتمتد أصابعها خارجًا بعد أن وجدت طريق الخلاص.في تطور ينبأ بكارثة شنعاء، وهول آخر قادم من تحت التراب، فاقشعر جسمه من فرط الرعب، ودبت في أوصاله رجفة خوف عنيفة..

وراح التربي يصرخ في فزع كما لو كان رأى الشيطان وجهًا لوجه، وهو يحدق مذعورًا في (ثروت) و(عشري) وهما يبعثان من جديد وينهضان من تحت

الأرض، وعلى قسمات وجهيهما غبار الموتى، وكان (عشري) هو أول من حاول تهدئة التربي وهو يهتف مستنكرًا في عصبية:

- اخرس يا رجل.. ستفضحنا.. لقد كنا فاقدين للوعي، ولسنا موتى.

ظل التربي يواصل الصراخ مما ألهب مشاعر (ثروت) الذي استل مطواته، وبلهجة رجل حسم أمره، ولم يعد لديه أدنى استعداد للنقاش، هتف منفعلًا في صرامة:

- أنت تصر على فضح سرنا، إذن فلا تلومن إلا نفسك.

قالها وهو يغمد مطواته حتى مقبضها فوق عظمة القص في عنق التربي، الذي اتسعت عيناه عن آخرهما في نظرة تجمع بين الألم والدهشة، و(ثروت) يدير المطواه دورة كاملة قبل أن ينتزعها من عنق التربي، وهو يمسك معصمه بيسراه مانعًا إياه من المقاومة، وببرودة أعصاب يُحسد عليها غرز (ثروت) أصابع يمينه في التجويف الذي أحدثته مطواته في عنق التربي والذي أخذت الدماء تنبثق منه، و(ثروت) يقبض على قصبته الهوائية، وبقبضة فولاذية تمكن من أن ينتزع القصبة الهوائية من مكمنها، ويخرجها خارج رقبة التربي الجاحظ، ولبرهة راح (ثروت) يحدق بنظرة قاتل سادي يتلذذ بتعذيب الأخرين في القصبة الهوائية بين كفه والدم يتقاطر منها بغزارة، قبل أن يرفعها بمحاذاة عينيه ثم يسحقها سحقًا في راحته، لتتناثر فتاتها على الأرض، والتربي المسكين ينهار كيانه في إثرها ويسقط أرضًا بعد أن انهارت مقاومته تمامًا..

ليلقى حتفه بأبشع وسيلة..

ثم تنفس (ثروت) الصعداء، وهتف في مزيج من الظفر والآنفعال:

- اذهب إلى الجحيم..فلم تترك لي خيارًا آخر أيها اللعين.

لم يكد ينطقها حتى سطع ضوء مبهر على نحو شديد السطوع، امتزج بشهقة عنيفة انبعثت من فاه (عشري) والضوء يغمرهما ويلهب عيونهما في شدة، قبل أن يتلاشى جسداهما في الفراغ..

ويختفيا تمامًا.

بلا أدنى اثر.



الفصل الثاني

ارتفع القمر عاليًا في كبد السماء ملقيًا بضوئه الشاحب على تلك المقابر التي خلفت جدرانها ظلالًا سوداء مرعبة ارتسمت على ممراتها الترابية الواسعة والتي تفصل بين صفوفها..

وعند سور المقابر الخلفي ظهرت يد تتعلق به بخفة يتبعها جسد ضئيل لشاب مراهق اعتلى السور برشاقة وقبع فوقه ثوان ينظر حوله قبل أن يمد يده للخارج مساعدًا فتاة رشيقة تقاربه في السن على الصعود بدورها على السور قبل أن يقفز للناحية الأخرى داخل المقابر ويمد يديه حاملًا جسدها الضئيل مساعدًا إياها على الهبوط بدورها..

وفور أن لامست قدما الفتاة تراب المقابر تلفتت حولها بتوتر، وهي تقول:

- ألم تجد مكانا غير هذا يا (حسونة)؟!

ضحك (حسونة) ضحكة خافتة وهو يقول مقتربا منها:

- لا يوجد مكان أفضل من هنا يا (ياسمين)، فكل من هنا باستثناء حارس المقابر يغفون غفوتهم الأبدية.

تلفتت حولها مرة أخرى قائلة:

- حسنًا وماذا عن حارس المقابر نفسه؟!

أشار بيده إشارة مبهمة قائلا باستهتار:

- غرفته تقع في الجانب الآخر من المقابر بجوار الباب، ولن يسمعنا أو يشعر بنا حتمًا.

ثم اقترب منها أكثر حتى تلاصق جسداهما، وهو يقول لها غامزًا بعينه:

- والآن هل سنقضي وقتنا كله في التحدث؟

خفت خوفها كثيرًا عندما بدأ يتحسس جسدها لتبعده عنها في دلال قائلة بميوعة:

- ابتعد عني، لا اعلم كيف طاوعتك على فكرتك المجنونة هذه للقاء.

حملها برشاقة وأرقدها أرضا وهو يقول:

- طاوعتني لأنكِ تحبينني.

ثم اعتلاها قائلًا:

- أليس كذلك؟!

ابتسمت في نشوة وهمت بقول شيء ما عندما سمع كلاهما ذلك الصوت!

صوت بدا أشبه بالحفيف مع ارتجاجات بسيطة شعر بها كلاهما في الارض من أسفلهما!

اعتدل (حسونة) في توتر وهو يرهف السمع قائلًا:

- ما هذا؟!

بينما عاود (ياسمين) توترها وهي تعتدل بدورها قائلة بصوت مرتجف:

- ما الذي يحدث يا (حسونة)؟!

اشار بيده لتصمت وهو يرهف السمع دائرًا برأسه في الأرجاء حتى توقف نظره عند نقطة خلفها، واتسعت عيناه قائلًا:

- رباه.. ما هذا؟!

اقترنت جملته بازدياد ارتجاج في الأرض من أسفلهما و(ياسمين) تلتفت بذعر تجاه ما ينظر إليه!

لتشهق في عنف!

فلقد تبدى لهما من على البعد جيش!

جيش من النمل!

خلية هائلة من النمل الأبيض العملاق، تتقدم ناحيتهم بسرعة مخيفةتسرى على الأرض كالشلال المنهمر والارض ترتج من تحتها رجا!

وبالرغم من ذلك لم ينبس العشيقان ببنت شفة، وظلت عقدة لسانهما على حالها، فقط طفت ومن ثم ماجت على ملامح وجهيهما كل مرادفات الدهشة والذعر في هذه الأجواء المضطرمة، حين وصل النمل إلى جسديها ليغطيهما في ثوان معدودة ليبدءا المقاومة في استماتة.

تخيل (حسونة) أنه يحيا كابوس مفزع، تمنى لو كان بمقدوره الاستيقاظ منه فورا!

ولكن هيهات فالأمر في حقيقته واقعًا بغيضًا بالفعل لا فكاك من براثنه، برهن على ذلك لدغات النمل الأبيض المفترس الذي كان ذو بأس شديد،

ويمتاز بكونه سريع الانتشار لدرجة لا توصف، جعلتهما يشعران بدبيب النمل الغزير على كل جزء من جسداهما الملتصقان كجزء لا يتجزأ!

وراح كيانهما المتوحد يتلوى من الألم الحاد الفظيع، من فرط لدغات عديدة مؤلمة لآلاف من النمل الأبيض، طفقت أنيابها الدقيقة القاطعة تنهش فيه وتمزقه تمزيقًا بلا رحمة!

ورغم أنهما كانا في عنفوان الشباب ويتمتعان بأجساد فتية، ولكنهما لم يصمدا طويلًا، ومع مرور الوقت انهارت مقاومتهما رويدًا رويدًا حتى فارقا الحياة، ليخمد جسديهما إلى الأبد، بعد أن سلما الروح لبارئها!

وظلت جحافل النمل الأبيض تعربد في جسديهما وهي تلتهمهما التهاما!

وفي الصباح، كان هناك هيكلان عظميان ناصعان البياض يلتمعان بوهج جهنمي تحت أشعة الشمس الوليدة.

ولم تكن هذه هي النهاية..

بل كانت البداية!



بعد عدة ساعات..

اقتربت إحدى الجنازات من تلك المقابر التي وقعت بها هذه الأحداث وقد بدا الوجوم والحزن على وجوه الرجال السائرين بها والذين تبعتهم سيدات مولولات متشحات بالسواد وهن يبكين على فقيدهن رب العائلة مشيعين إياه لمثواه الأخير..

أخذت الجنازة في الاقتراب حتى توقفت أمام البوابة الحديدية المغلقة ليمسك أحد الرجال بالسلسة الحديدية المنتهية بقفل ضخم وهو يقول بحنق ناظرًا إلى ما خلف أسياخ البوابة حيث المقابر الصامتة:

- كما توقعت منذ أن قمنا بالاتصال بهاتف ذلك التربي الأحمق مرارًا ولم يرد علينا، هذا الكسول ما زال نائما حتمًا.

ليقول له أحد الرجال بعصبية:

- وماذا نفعل الآن؟!

يقول آخر:

- سنطرق الباب طبعًا.

أتبع كلمته بالطرق على البوابة الحديدية مرارًا هو والرجال من حوله.. ولكن بدون جدوى.. حيث لم يجبهم إلا الصمت!

توقفوا بعد قليل عندما يئسوا من الرد عليهم وأحدهم يقول:

- ماذا نفعل الآن، أنعود بمتوفانا من حيث أتينا؟!

ليجيبه أحد الشيوخ بغضب:

- أي هراء هذا الذي تقوله يا (حامد)؟

يجيبه (حامد) بعصبية:

- ماذا نفعل إذن يا شيخ (جابر)؟!

يقول أحد الشباب بعصبية:

فلنحطم هذا الباب اللعين إذن، ونذهب لنوقظ ذلك التربي الحقير بأنفسنا.

تبادل الرجال النظرات وقد لاقت فكرة الشاب استحسانهم بالرغم من جنونها، وهنا أخرج الشاب مسدسه المرخص من جيب سرواله قائلًا للجميع:

- ابتعدوا، سأحطم القفل الآن.

ابتعد الجميع للخلف بينما أخرج الشاب القفل للخارج من خلال الأسياخ الحديدية التي يتكون منها النصف العلوي للبوابة الضخمة ثم أحكم نيشانه عليه مطلقا رصاصة صائبة تحطم لها القفل القديم بدوي عال أصم الآذان!

اقترب الشاب من القفل لينزعه، ويفتح الباب على مصراعيه، وهو يشير للرجال بالتقدم، ثم يسبقهم مع بعض الشباب إلى غرفة التربي، التي وجدوها مفتوحة وخالية!

نظر الجمع لبعضهم بقلق، قبل أن يهتف بعضهم بأن إكرام الميت دفنه، وهنا انبرى بعضهم بذكر أنهم يعلمون كيفية فتح القبر والدفن فليتجهوا ناحية

مقبرة العائلة ويدفنوا المتوفي، ثم يرون أين ذهب ذلك التربي الذي ربما خرج لقضاء بعض حوائجه، لم يكذب الرجال خبرًا وقد أراحهم هذا التفسير واتجهوا بموكبهم الحزين ناحية المقبرة المذكورة، وقد تعالت أصوات النساء النائحات من جديد بعد خفوتها مع الأحداث السابقة، ولكن هذه الأصوات الباكية تحولت إلى شهقات مرتعبة انطلقت من حلوق الرجال مع صرخات مرتاعة من النساء فور أن رأين ما أرعب رجالهن، فلقد كان ما شاهدوه جميعًا أمامهم وسط المقابر مريعًا بحق!

***

قاعة معدنية تمامًا من جميع الجوانب، تكاد لا تميز ارضها من جدرانها، ولا حتى بابها الوحيد إلا عند فتحه ليدلف منه مخلوق عجيب الهيئة يشبه البشر ولكن لون وجهه فضي جامد الملامح ويرتدي ملابسًا ذهبية براقة مع حرملة خضراء، وهو يقول بلغة غير أرضية لآخر يشبهه يجلس على مقعد ذهبي كبير في منتصف الحجرة:

- لقد تطورت الأمور بشدة يا سيدي في (زورا ٤) قبل أن نبادر بإرسال مندوبنا الجديد.

استمر الجالس على صمته قليلًا، قبل أن يجيب بنفس اللغة وبصوت عميق:

- نفذ الخطة الاحتياطية (كوتا ٣).

انعقد حاجبا الأخر لجزء من الثانية قبل أن تعود ملامحه لجمودها وهو يقول:

- أمرك سيدي.. القائد (تولا) جاهز للتنفيذ.
وانصرف لتنفيذ الأمر.

***

توقفت سيارات الشرطة والأمن المركزي بجانب تلك المقابر وهبط منها الجنود يحيطون بالمكان ويصنعون كردونًا حوله، وهم يخرجون الناس المتجمعين بداخلها مانعين إياهم من الآنصراف بعيدًا، في نفس الوقت في حين تقدم رائد الشرطة (حازم حمدي) بصحبته زميله النقيب (حسام سامح) إلى داخل المقابر، والأول يقول وهو يجد في سيره يتبعه رجاله:

- هل تظن يا (حازم) أن ما رواه هؤلاء في بلاغهم صحيح؟!

اجابه (حسام) بتوتر:

- هو غريب للغاية يا سيدي ولكن سنعلم حالًا و...

بتر عبارته بغتة، وهو يتوقف متطلعًا مع خالد إلى ما أمامه، ورعشة كبيرة تجتاح جسده رغمًا عنه، مع جملة (حازم) المذهولة: - رباه، أي هول هذا؟ ماذا حدث هنا بالضبط؟!

فلقد اكتشفا أن البلاغ بالرغم من غرابته لم يصف نصف غرابة ورعب ذلك الذي يريانه امامهما الآن في قلب المقابر، وعلما معه أن الايام القادمة ستحمل لهما المزيد والمزيد من الأهوال والمفاجآت!

***

الفصل الثالث

بدا المشهد المرعب في تلك المقابر خيال محض، عصيًا بحق على التصديق، وكأنها لوحة سريالية مفعمة بالقتامة، رسمتها ريشة فنان مخبول مغموس في الكآبة!

كان الرائد (حازم) ومرؤوسه النقيب (حسام) يتطلعان إلى أكوام جثث الموتى بدون أكفانها، وهي تفترش الممرات الترابية، وبينما ينصب فوق ناصيتيهما أطنان من الذهول المتفجر، إذ بالأرض ترتج بعنف، وتنشق بالقرب منهما عن يدين بشريتين معروقتين، وما إن خرجتا من باطن الأرض حتى قامتا بإزالة التراب من حولهما، قبل أن يتبعهما جثة لشخص أخر كان منذ بضع ثوانٍ، في عداد الموتى!

نزع النقيب (حسام) نظارته الطبية، حتى يتسنى له التأكد أن ما يراه ليس وهمًا بصريًا خادعًا، وقام بفرك عينيه جيدًا، قبل أن يضع النظارة فوقها مرة اخرى، وقام بإفساح مجال رؤيته، وهو يجول ببصره في جميع الآنحاء، ليشعر برجفة عنيفة تسري عبر جسده، وتزحف عبر عموده الفقري حتى دمه وأعصابه، وعينيه تتسعان وهما يحملقان في آلاف الجثث وهي تخرج من جوف الأرض إلى السطح، وفي أعقابهم موتى أخرون ينهضون من تراب القبور وهكذا

دواليك، مثل عنقاء دبت فيها الحياة بعد الفناء، ففغر فاهُ حتى عانق حاجباه شعر رأسه، قبل أن يتساءل ذاهلًا:

- سحقًا.. ما هذه الأفاعيل الشيطانية بحق السماء؟!

انتفض جسده بمنتهى العنف، عندما أتاه الجواب بسرعة البرق عبر تلافيف عقله:

- جاءكم (تولا) بالموت أيها البشرِ!

تلفت(حسام) حوله ولشدة دهشته لم يجد أحدًا يخاطبه، بل وجد بجواره الرائد (حازم) قد لاذ بالصمت التام، وأصابعه تحك أسفل ذقنه، حتى بدا قوي الشكيمة، وكأنه نجح في امتصاص صدمة الرؤية الأولى لمنظر أكوام الجثث، وهو يعقد حاجبيه الكثين، ويراقب تطورات الأمور عن كثب!

وفي مشهد يحاكي يوم الحشر الأعظم المرتقب، انبعثت الجثث من مرقدها، واكب ذلك الحدث أن نهضت الجثث الأخرى التي تفترش ممرات المقابر، اعتدلت على نحو مباغت، وتسمرت ثابتة في وقفتها، وكأنما استحالت إلى صورة ثلاثية الأبعاد، شاخصة أبصارهم، يتطلعون إلى الأفق البعيد بنظرات شاردة، وبينما هم كذلك إذ فجأة!

انتفضوا انتفاضة رجل واحد، وكأنهم استقبلوا نداءً موحدًا، قبل أن تتوجه أبصارهم صوب بيوت المدينة المأهولة بالسكان، وبدوا أشبه برجال أمن آليين تلقوا أمرًا واجب التنفيذ، عندها بدأوا في السير المتثاقل المُتمايِل للخروج من

نطاق المقابر، مثيرين الرعب والفزع فيمن يراهم، وفي تلك الأثناء حاول أفراد الشرطة وجنود الأمن المركزي أن يبدو متماسكين ولو ظاهريًا، رغم الارتباك الواضح الذي دب بين صفوف التشكيل، وهم يترقبون صدور الأوامر من الرائد (حازم) لخطوتهم القادمة حيال ما يحدث من تطورات مُخيفة!

حتى أن الشيخ (جابر) قد بسمل وحوقل وراح يغمغم بالمعوذتين، والسبع آيات المنجيات، والأجواء من حوله تضطرم بصرخات الفزع والهلع، وجميع أفراد الجنازة بخوف هيستيري يهرولون بلا هدى في محاولة جادة للفرار والاختباء بعيدًا عن متناول أيدي جيش الجثث المتحركة، الذين كانوا يترنحون في مشيتهم كالسكارى!

ولمَ لا فهم الموتى الأحياء!

أو (الزومبي) القادمون لاجتياح المدينة!

على نحو ينذر بالهول!



الفصل الرابع

قاعة سوداء واسعة لا تدرك لها أرضا من جدران امتدت أو هكذا بدا لمساحة شاسعة وقد وقف وسطها (تولا) وقد ظهر وسط هذا الظلام والسواد واضحا -بطريقة غامضة- بملامحه القاسية الجامدة في وقفته الثابتة متطلعا إلى الفراغ من أمامه..

الفراغ الذي ظل فراغا للحظات قبل أن يتألق جزء منه بضوء أحمر زاه قبل أن ينقشع وقد ظهر مكانه في الهواء على بعد عدة أمتار من الأرض الوهمية الواقف عليها (تولا) جسدان سقطا أرضا من فورهما فور ظهورهما..

ظل الجسدان ثابتين للحظات أخرى قبل أن يبدءا التحرك ببطء وتبدو منهما آهات خافتة..

ظل تولا صامتا بينما بدأ الجسدان بالاعتدال وصاحباهما يتطلعان حولهما في ذعر ملحوظ لنتبين وجهي (ثروت) و(عشري) وقد امتلآا بالندوب وتمزقت ملابسهما على نحو ملحوظ..

وهنا فقط نطق (تولا) قائلا بصوته العميق وبلغة عربية ولهجة مصرية سليمة:

- أهلا بكما في عالمي الخاص.

نهض الاثنان يتطلعان إلى وجهه الفضي في ذعر متزايد و(عشري) يقول:

- من.. من أنت.. أو ما أنت؟

بينما قال (ثروت) وهو يحاول التراجع:

- وأين نحن؟

(تولا) بصوته العميق:

- أنتما منذ الآن خادماي ومندوباي في أرضكما، وهذا من حسن حظكما في الواقع.

قال كلمته الأخيرة وابتسامة ساخرة تتراقص على شفتيه لجزء من الثانية قبل أن تعود ملامحه لتجهمها مرة اخرى بينما يقول (ثروت) بعصبية متحسسا ملابسه باحثا عن مطواته:

- ماذا تقصد بخادميك يا هذا؟ (ثروت) ليس خادما لأحد!

بينما قال (عشري) بخشونة وقد بدا عليهما هما الاثنان أن شجاعتهما قد ردت إليهما:

- و(عشري) ايضا ليس خادما لأحد ولن تخيفنا بقناعك هذا، ولقد أخطأت بتفكيرك انك تستطيع اخافتنا..

ثم هجم على(تولا) بحركة مفاجئة قائلا:

- وسأثبت لك هذا!

وضم قبضته موجها لكمة قوية إلى فك (تولا) الذي ظل واقفا لم يتحرك من مكانه وهو يستقبل لكمة (عشري) ببساطة على فكه العريض بدون أن يهتز أو يتأثر أو يحرك ساكنا، بل كانت الصدمة والألم من نصيب (عشري) الذي

صرخ عاليا مع صدور صوت قرقعة عند اصطدام يده بفك (تولا) ليسحبها سريعا مذعورا وقد بدا واضحا تحطم بعض من أصابعه وهو يهتف:

- ياللشيطان، إن جسده كلوح من الصخر.

تراجع (ثروت) في ذعر وهو يشاهد ما يحدث قبل أن يعثر أخيرا على مطواته في جيب بنطلونه الممزق فيشهرها هاتفا:

- دعه لي يا (عشري).

ثم وبحركة ماهرة اشتهر بها أدار المطواة في يده وألقاها بكل قوته ناحية (تولا)..

لم يحرك (تولا) ساكنا ايضا لتصطدم المطواة بصدره ولكنها لم تخترقه لتسقط أرضا وكأنها بالفعل قد اصطدمت بحجر أصم..

تراجع (عشري) بدوره قائلا:

- يا إلهي، ما هذا الذي يحدث، من أنت بالضبط؟

قال كلمته الاخيرة ناظرا إلى (تولا) الذي قال:

- قلت لكما أنتما منذ الآن خادماي ومندوباي في هذه الأرض، فإما أن تتعاونا معي وتنالا كل القوة والنفوذ أو ترفضا فتنتهي حياتكما هنا والآن..

فال (ثروت) بعصبية:

- وماذا تريد منا؟ وماذا تعني بالقوة والنفوذ؟

قال (تولا) سريعا:

- ستعرفان، ولكن لابد أن تعلما أولا أنه لا مجال للتراجع إن وافقتما، والآن اختارا، التعاون.. أو الموت.

تبادل (عشري) و(ثروت) النظرات وقد بدا واضحا معرفتهما بالاختيار الذي لا بديل عنه..

فلقد قدم لهما (تولا) عرضا لا يستطيعان رفضه..

عرض مقابله الموت..

أما الموافقة عليه فمن قد يعلم نتائجها..

من؟!

***

- لقد خالف القائد (تولا) التعليمات ولم ينفذ الخطة الاحتياطية في (زورا ٤) بل واستخدم قدراته في تصعيد الأمور أكثر وأكثر.

نطق بها شخص له نفس هيئة (تولا) وقائده الفضية وهو يقف أمام الأخير الجالس على العرش الذهبي لينعقد حاجبا القائد في غضب وهو يقول بصوت جامد لا يعكس مشاعره:

- اعرض علي ما حدث..

تقدم ذلك الشخص من جهاز مربع موضوع فوق منضدة فضية قريبة وألصق قرصا أسود أخرجه من جيبه بسطحه المعدني لتتكون صورة في الهواء توضح

ما حدث في المقابر منذ دخول قوات الشرطة والأهالي وحتى تحرك الجثث ليزداد انعقاد حاجبي القائد وهو يقول:

- اذن فلقد انتصرت أطماع (تولا)، لم أكن أثق به منذ البداية ولولا قوته وبراعته لاستغنيت عنه منذ مدة..

وظل يفكر قليلا قبل أن يقول لجنديه:

- هل انتهى القائد (لوما) من مهمته الأخيرة؟

أجابه الجندي سريعا:

- نعم سيدي ولقد وصل للتو وسلم نفسه لقائد الجيوش.

قاطعه ملكه قائلا بحزم وهو يرفع يده:

- فليحضر إلي فورًا..

أجابه رجله سريعا:

- أمرك سيدي..

وانصرف لتنفيذ الأمر بينما صمت القائد قليلا مفكرا قبل أن يقول: - حسنا يا (تولا)، سنرى إلى أين ستأخذك أطماعك..

وبعد لحظات كان يقف أمامه شخص آخر له نفس الهيئة وإن بدت على ملامحه الفضية الجامدة ملامح العزم والتصميم الذين انعكسا على صوته وهو يقول: القائد (لوما) في خدمتك يا سيدي

يقول له القائد بسرعة: لدي لك مهمتان يا (لوما).. إحداهما عاجلة للغاية..

لم يبد على ملامح (لوما) أي تغيير وهو يقول بقوة: لوما دائما جاهز لأية مهمة يا سيدي..

قال الملك: عظيم..

ثم أدلى إليه بما لديه

***

تقدمت جحافل الموتى الأحياء تجاه المدينة لينتزع (حازم) و(حسام) نفسيهما من ذهولهما ويهتف الأول في جنوده وهو يسحب سلاحه:

- لا تقفوا هكذا، امنعوهم من الوصول للمدينة بأي ثمن..

وقف الجنود خائفين من تنفيذ الأمر، ولكن (حسام) انتزع مسدسه بدوره مكررا الأمر بقسوة وهو يتقدمهم مع (حازم)، ليجبر الجنود على حذو حذوهما وينطلق الجميع خلف الموتى و(حازم) يهتف: - أطلقوا النيران، فلنرى هل ستموت هذه الأشياء مرة أخرى أم ماذا؟

وأتبع قوله بإطلاق نيران مسدسه وحمد ربه عندما رأى أجساد الجثث تتساقط مع طلقاته فزاد منها يساعده (حسام) مع اكتساب جنودهما الشجاعة عند رؤيتهم هذا فيطلقون نيرانهم بدورهم لتتساقط الجثث تباعا، خصوصا مع عودة أفراد الجنازة ممن يحملون السلاح للمشاركة في المعركة وقد قرروا التغلب على خوفهم بدورهم ومساعدة رجال الشرطة في معركتهم يدفعهم خوفهم على عائلاتهم المقيمة في المدينة..

وهكذا وبعد ربع ساعة سقطت جميع الجثث مرة أخرى بلا حراك ليتلفت الجميع حولهم في خوف وفزع لم يفارقهم بعد بينما وقف بينهم (حازم)و(حسام) يتبادلان النظرات وسؤال واحد قد تبادر إلى ذهنيهما في نفس الوقت..

أبهذا تكون نهاية الأمر؟!..

أم أنها بدايته فقط؟!

***

الفصل الخامس

اتسعت ابتسامة (تولا) الناطقة بالشر من قلب مخبئه السري في تلك القاعة السوداء الشاسعة الأطراف حتى أن (عشري) و(ثروت) قد ارتجفا من الذعر فبديا مثل عصفورين مبتلين في ليلة باردة ممطرة، و(تولا) يستبدل وسيلة التخاطب بينهما ويبث عبر عقليهما بوسيلة فائقة أمرا مفاداه:

- في البداية وقبل كل شيء لابد وأن تسجدا لإمبراطور الأرض المقبل.

حاول (عشري) أن يجمع شتات نفسه ليفحمه بقول رادع، ولكن صوته خذله، وتلعثمت الكلمات على أعتاب شفتيه، وهو يغمغم:

- من تظن نفسك يا هذا؟..فأنت لست بإله حتى نسجد لك.

أرغى (تولا) وأزبد وحدجه بنظرة غضب نارية كادت ان تفلقه إلى نصفين، وهو يعاود البث العقلي بعصبية مفرطة:

- كيف تجرؤ على عصيان أمرى أيها المخلوق الضعيف؟؟ فلتسجد كما أمرتك وإلا أوردتك موارد التهلكة..فصبري حقا بدأ ينفد!

بمجرد أن فرغ (ثروت) من استقبال حديث (تولا)، حتى تولاه الخوف الغريزي من رد فعله على عدم طاعة أمره، فاسرع بالسجود في خضوع ل(تولا) الذي نظر نحو (عشري) منتظرا اتيانه نفس الفعل، وبالفعل لم يجد

(عشري) أمامه إلا أن يحذو حذو رفيقه، فسجد على مضض، عندها التمعت عينا(تولا) وهو يهتف في ظفر:

- حسنًا فعلت.

قالها وهو يخرج من جراب معلق في نطاق خصره كرة سوداء معتمة في حجم كرة يد ضغط بقعة في مركزها فانفصلت عنها كرة أخرى متطابقة معها في الشكل والحجم، وبمجرد أن ضرب (تولا) بخفة على قمتهما، سرعان ما تحولت الكرتان إلى اللون البرتقالي وأخذتا تبعثران شرارات نارية على سطحيهما المتوهجين، وأخذ (تولا) يرفع الكرتان بين الهواء وراحتيه، في تتابع مثير وهو يهتف في حماس:

- والآن يا خادماي المطيعان إليكما المهمة الأولى في طريق اعتلائي عرش مجلس إدارة العالم..

ضرب (تولا) سطحي الكرتين فخبا بريقهما وعادتا إلى سيرتهما الأولى، قبل أن يلقى بهما لتسبحا في الهواء، حتى وصلتا إلى حيث يقف خادماه المندهشان، و(تولا) يستطرد بثقة:

- التقطاهما ولا تخافا، فبواسطة هذا السلاح الفتاك القادر على إبادة ديناصور وتحويله إلى حفنة تراب في ثانية واحدة، آمركما بقتل إحدى الشخصيات العلمية البارزة التي تحيا في مدينة تسمونها (مكة)، وتدمير الجهاز الخاص الذي ابتكره، والذي يقوم بمحاولة عرقلة خطة السيطرة على الارض.

صمت برهة ليرى رد فعل حديثه على وجهي خادميه، فلم يطالع سوى وجوه شاحبة، تومئ في تسليم صاغر، وهذا ما شجع (تولا) على أن يتابع مزهوا:

- (محمد مؤمن المصري) هذه اسم الشخصية التي أريدكما أن تمحواها، ومن ثم جهازه الخاص من الوجود تمامًا.

قالها وطفق الحنق باديا على قسمات وجهه، عندما جال بفكره أن مدينة (مكة) هذه دون سواها من كافة البلاد محرم على بني جنسه دخولها، وإلا كان نفذ هذه المهمة البسيطة بنفسه دون أدنى مشقة!

أخذ شهيقا عميقا زفر بحرارة، ثم قال في حزم:

- فلتتهيئا للذهاب إلى الأرض لأداء مهمتكما التي ستجدان كل البيانات المتعلقة بها مكتوبة على سطحي الكرتين بلغتكما، وستمحى بمجرد قراءتكما لها، فاحفظوها جيدا..

قال عبارته وهو يمسح براحته الهواء فظهرت له مكعبات ملونة أخذ يضغط بأصابعه عليها في تتابع مدروس لتتكون على إثر فعلته فجوة محدودة أخذت في الاتساع باطراد سريع، وحوافها تخرج منها شرارات نارية متألقة!

ولكن بغتة تلاشت تلك الثغرة في الفراغ وكذلك المكعبات اختفت عن الآنظار تماما، تزامن ذلك في لحظة حدوث تلك الفرقعة القوية التي صكت مسامعه واكبها ضوء مبهر أحال ظلام القاعة السوداء إلى نهار ساطع، اغشى عينيه فأغمضهما لبرهة، ليتبين له بعد انفراجه جفنيه أنها قنبلة ضوئية ألقاها

أحد الجنود في كتيبة أمن من عالمه، مدججة بترسانة من الأسلحة المدمرة، كانت تتهيأ لاقتحام مخبأه السري، بعد أن عطلت عمل جميع أجهزة المخبأ الدفاعية الرادعة، وحتى أسلحة (تولا) الشخصية أوقفت عملها بوسائل تكنولوجية متطورة، واستعدت كتيبة الإعدام هذه لاقتحام المخبأ من جميع الاتجاهات، دون أن تترك له أي ثغرة يهرب منها، مع أوامر عليا بتصفيته جسديًا بلا رحمة، باعتباره مارقًا عن وحدة الصف، وبذلك كان لزامًا على (تولا) أن يقاتل كتيبة الدمار هذه بأيدٍ عارية، وبلا حتى مؤازرة من أحد أتباعه المخلصين، وهنا باتت أنها نهاية حياته حرفيًا.



الفصل السادس

بمجرد اقتحام القوات لمقر (تولا) حتى ألقى بكرتيه السوداوين إلى (عشري) و(ثروت) وهو يصرخ بهما:

- استخدماهما للقتال وإلا فلن يخرج أحدنا من هنا حيا أبدا، لقد تم تعطيل استخدامي لهما ولكن أنتما تستطيعان..

التقط (عشري) و(ثروت) الكرتين بمهارة اكتسباها من طول فترة عملهما كلصوص ومجرمين ودرس عقلاهما الأمر بسرعة تعودا عليها من كثرة المشاجرات التي خاضاها قبل ذلك وأدركا سريعا بأن مصلحتهما مع ذلك ال(تولا) خصوصًا مع ولوج جنود مرتدين ملابسا سوداء من الفتحة حاملين أسلحة عجيبة وقد بدا لهما واضحا انهما لن يتركا أحدا على قيد الحياة، وهكذا صرخ (ثروت):

- كيف نستخدمها؟!

صرخ (تولا):

- اضغطا عليها..

قال كلمته هذه وهو يتحرك بسرعة فائقة ليضرب الجنود يمينا ويسارا ويتفادى طلقاتهم الخضراء التي اخذت تحاول إصابته قبل أن ينتبه الجنود بغتة

لتلك الطلقات السوداء التي تصيبهم من الخلف منطلقة من كرتي (ثروت) و(عشري) اللذين باغتاهم بهجوم مفاجئ..

وعندما التفت الجنود ناحية (ثروت) و(عشري) انتهز (تولا) الفرصة ليباغتهم بضرباته الساحقة وهو يتحرك بسرعة رهيبة أثبتت قوته وبراعته حتى على بني جنسه..

ارتبك الجنود أمام هذا الهجوم المزدوج وحاولوا الدفاع أو الهجوم ولكن براعة خصومهم الثلاثة حالت دون هذا حيث أخذ (ثروت) و(عشري) يتفاديان طلقاتهم بينما كانت طلقاتهم هم تصيب أهدافها بدقة بينما كان من الصعب بمكان إصابة (تولا) نفسه بحركاته السريعة المباغتة..

وهكذا وفي خلال خمس دقائق افترشت أجساد الجنود الصرعى المكان ووقف (ثروت) و(عشري) يلهثان بينما يقهقه (تولا) قائلا: - رائع، لم يخب ظني فيكما، فمجرمان عتيدان مثلكما هما ما أبحث عنهما بالضبط.

قال (عشري) بعصبية:

- ولكننا كدنا نلقى حتفنا هنا..

يقول له (تولا) بخبث:

- وماذا كنت تفعل طيلة عمرك، ألم تكن تخاطر بحياتك على الدوام من أجل حفنات قليلة من نقودكم، فماذا إذن إن كسبتما معي ما هو أغلى وأثمن، وإذا

أردتما تلك النقود التافهة فهذا أقل شيء ستكسبانه معي، والآن هل أنتما جاهزان للمهمة؟

ارتسمت ابتسامتان جشعتان على وجهيهما و(ثروت) يقول:

- ومنذ متى نقول للمكسب لا، طالما الأمر هكذا سننفذ المهمة..

يقول (تولا):

- عظيم، سنذهب الآن إلى مقر آخر ثم تنطلقان منه لتنفيذ المهمة، وحينها لن يستطيع شيء أو أحد إيقافي قط..

وأطلق ضحكة ساخرة عالية بينما يختفي جسده مع جسديهما تاركين جثث الجنود القتلى تملأ المكان.

***

تطلع (لوما) إلى جثث الجنود في حسرة قبل أن يقول لآخر يقف بجانبه:

- كيف حدث هذا؟!

أجابه جنديه:

- فور توصل علماء التتبع عندنا لموقع (تولا) حتى أصدر ملكنا الأمر بمهاجمته مع إبلاغك سريعًا.

تطلع (لوما) ثانية حوله قبل أن يهز رأسه في أسف قائلا: - للأسف لقد وصلت متأخرا، كنت أقوم بمهمة أخرى غاية في الأهمية..

تنهد في ألم قبل أن يتقدم أحد جنوده ناحيته قائلا له:

- سيدي، لقد توصل علماءنا إلى تفريغ للحديث الذي دار في هذا المكان بأجهزتنا، وهم يطلبونك لسماعه على وجه السرعة..

اعتدل (لوما) وهو يقول:

- رائع، الآن نستطيع معرفة أهداف هذا الخائن ونوقفه عند حده.

وانطلق سريعا وهو يكمل بقلق:

- هذا إذا استطعنا، وفي الوقت المناسب..

***

ـ إذن ف(تولا) يبغي القضاء على شخص يدعى (محمد مؤمن المصري) بمدينة (مكة) والذي اخترع جهازا يعوق (تولا) عن محاولة غزو الأرض..

نطق بها الملك في بطء ليقول (لوما):

- نعم يا مولاي، هذا بالضبط تفريغ لمحتوى الحديث الذي دار بينه وبين خادميه الأرضيين.

نهض الملك من على عرشه في مرة من المرات النادرة التي يفعل فيها هذا، ليشد (لوما) جسده في وقفة عسكرية صارمة، وهو يتطلع إلى مليكه الذي أخذ يسير في البلاط الملكي جيئة وذهابًا، وطفق يردد قائلا:

- هذا الأمر بالتأكيد له مدلوله الخطير جدًا على خرق السلام الأزلي بين الأبعاد، وربما لو نجح هذا الأحمق في السيطرة على العوالم الأخرى فقد يفكر في السيطرة علينا نحن.

ساد الصمت المهيب جنبات المكان، راح خلاله الملك في تفكير عميق و(لوما) يحترم صمته قبل أن يتوقف الملك، وحاول إخفاء اضطرابه، وهو يلتفت ل(لوما) ويشير بيده، قائلًا في حزم:

- إذن فهذه مهمتك الجديدة يا (لوما)، حافظ على حياة هذا الشخص الأرضي وجهازه بأي ثمن.

عاد الملك ليستقر فوق عرشه اللامع، ثم قبض على مسندي العرش، قائلًا في صرامة:

- حتى لو كلفك هذا الآمر التضحية بحياتك.

دب التوتر والقلق في قلب (لوما) للمرة الأولى، وهو يقول في حيرة:

- ولكن كيف يا سيدي؟! أنت تعلم أننا مثل (تولا) لا نستطيع دخول (مكة)!

قال الملك بلهجة قوية حاسمة:

- إذن فلتفعل مثله وتبحث عن حلفاء أرضيين، افعل ما يلزم، فمصلحتنا مشتركة معهم، فمن يعلم ما قد يحدث إذا نجح هذا الخائن في مخططه الجنوني، ربما يكون في هذا وبال على جميع العوالم..

هتف (لوما) بحزم:

- أمرك مولاي.

وانصرف لتنفيذ الأمر وتوتره يتزايد أكثر وأكثر..

***

أنهى الطبيب الشرعي تعقيم نفسه وأدواته قبل أن يتجه لتلك الجثة المسجاة على منضدة الفحص بالمشرحة في توتر ملحوظ لم يشعر به طيلة حياته وهو الذي لم يتخيل أن يوتره أي شيء في مهنته هذه التي تعامل فيها طيلة عمره مع مختلف أنواع الجثث وشاهد مختلف طرق الموت، لقد شاهد ورأى وفحص وقام بتشريح العشرات بل المئات من الجثث التي يثير مرأى معظمها الرعب والفزع في أعين من يراها..

ولكنه اعتاد هذه المهنة حتى أنه كان يقوم بكل مهامه بها بروتينية وبساطة شأنه شأن كل من اعتاد على عمله مهما كان صعبًا أو غريبًا..

إلا اليوم..

فعلى حد علمه كانت هذه أول مرة يقوم فيها بتشريح جثة قتيل مات للمرة الثانية!

نعم، فالجثة التي أمامه وحسب ما رآه وسمعه وأخبره بها من أحضرها إليه مع بعض الجثث الأخرى المماثلة كانت إحدى تلك الجثث التي نهضت من رقادها لتتحرك وتثير الفزع في تلك الحادثة المشهورة التي أرعبت البلاد والعالم أجمع، وما زال الجميع يتساءل عن حقيقة هذا الذي حدث، وتوجد بعثة من كبار علماء العالم في طريقها لمصر الآن للمشاركة في التحقيق في الأمر وأيضا تشريح الجثث..

ولكن وبالرغم من هذا فالروتين المصري كان لابد له من أخذ مجراه وأولها هو تشريح جثث قتلى هذا الحادث، هذا لو كان لنا أن نسميهم قتلى وهم ميتون بالفعل من قبل الحادث بكثير..

اقترب من الجثة وحاول نبذ توتره جانبا وهو يكشف عن الملاءة من على وجهها ويشغل جهاز تسجيل بجواره قائلا وهو يبدأ عمله: الجثة لذكر يقترب من الخمسين من العمر في مرحلة التحلل الرمي وتوجد بها فتحات متعددة لدخول رصاصات يبدو أنها من رصاصات الشرطة ولكن هذا سيظهر مع التشريح الدقيق وإن كانت النظرة الاولية تقول ان هذه الرصاصات قد اخترقت الجسم بعد وفاته بفترة طويلة وليست هي المتسببة في الموت وهذا يبدو واضحا من......

بتر عبارته بغتة وهو يميل ناحية الجثة مدققا بنظره بدهشة قبل أن يلتقط عدسة مكبرة ويقربها من عنق الجثة ناظرا بدقة قبل أن يتراجع قائلا:

- عجبًا! ما هذا بالضبط؟

فلقد كان أمامه في العنق ثقب دائري صغير لم يكن ليظهر للعين المجردة لولا احتراق حوافه ليبدو كنقطة سوداء على العنق..

نقطة سوداء أظهرتها العدسة كثقب صغير ناتج عن احتراق شيء ما للعنق..

استطاع النطق أخيرًا وهو يعاود تسجيل كلماته قائلًا وهو يعاود فحص الثقب:

- يوجد ثقب غريب محترق الحواف بحجم سن الإبرة في جانب العنق يبدو أن ما سببه سلاح ما..

وعاود النظر للثقب بعدسته قليلا قبل أن يكمل بحزم لا يخلوا من التوتر: وأكاد أجزم بحكم خبرتي أن ما سبب هذا الثقب ليس سلاحا من أسلحتنا المعروفة، بل أكاد أقسم أن ما سببه ليس سلاحا أرضيا، بالمرة!

***

في نفس الليلة..

عاد (حازم) إلى منزله بعد يوم طويل مرهق من التحقيقات والاستجوابات معه ومع كل من شاهد الحادث..

الحادث الذي انتشرت أخباره بسرعة انتشار النار في الهشيم في جميع ارجاء العالم خصوصا بعد قيام بعض الهواة من اهل المدينة بتصوير ما حدث ونشره على منصات الانترنت المختلفة مما دعا عدة دول إلى عرض تقديم المساعدة والمشاركة في التحقيقات على مصر وهو ما أزعج المسؤولين المصريين بشدة..

كان (حازم) يعلم أن الجثث الآن في المشارح يتم تشريحها لربما يتم كشف الغموض عن ما حدث، وكان يعلم أن التحقيقات لم تنتهي بعد وربما لن تنتهي قبل عدة أشهر، هذا لو انتهت..

اتجه متثاقلا إلى غرفة نومه عندما انتبه فجأة إلى ذلك الظل الجالس بالردهة!

سحب مسدسه سريعا وهو يضيء النور بحركة رشيقة ولكن قوة غير مرئية أصابت يده في نفس اللحظة وأطاحت بمسدسه بعيدا بينما يرتفع صوت هادئ جامد يقول بلغة عربية ولهجة مصرية سليمة:

- لا أريد العنف يا سيد (حازم)، تجريدك من سلاحك أفضل حتى نستطيع التحدث..

كان ناطق هذه الجملة والذي ظهر وجهه بعد الاضاءة رجلا ذا وجه فضي جامد الملامح ويرتدي زيا ذهبيا لامعا ويجلس على مقعد يتوسط الردهة وقد مال إلى الأمام مكملا جملته ل(حازم) المذهول:

- أعرفك بنفسي اولا، أنا(لوما).. القائد (لوما)..

هتف حازم بدهشة ساخرة امتزجت بحنقه فقده لسلاحه: وماذا تريد أيها القائد (لوما)، وأنت قائد في ماذا بالضبط بمظهرك هذا، قائد سيرك للهواة؟

لم تتغير ملامح (لوما) وهو يقول: لست هنا للمزاح يا سيد (حازم)، إن حياتك وحياة جميع البشر على المحك..

تراجع حازم في دهشة وهو يسأل: ماذا، وما مصدر ذلك التهديد يا هذا؟!

أجابه (لوما) وهو يعقد حاجبيه الكثين:

- مصدره أحد القادة المنشقين عن الصف في عالمي والذي يدعي (تولا) كان قد أصيب مؤخرا بجنون العظمة، ولذا يريد تنصيب نفسه بالقوة المفرطة سيدا على سائر البشر.

قهقه (حازم) ضاحكا من أثر قوله، وضرب كفًا بكف، وهو يهتف مازحًا:

- ماذا، وهل في عالمك من يفكر ايضا بالسيطرة على الآخرين، ظننت هذا مقتصرا على البشر فقط!

ضاقت حدقتا (لوما) وهتف بحنق:

- ستجد هذه الأمثلة القبيحة لمتطلعي الزعامة بالقوة الغاشمة، في كل العوالم وعبر كل العصور والأزمنة يا سيد (حازم).

ضغط على نقطة في إسورة تطوق معصمه، فتحرر في الهواء على اثر فعلته مشهد ثلاثي الابعاد بدأ يعرض أحداثا مختلفة ل(تولا) في عالمه وكذلك على الأرض، وأثناء ذلك أضاف (لوما) شارحًا ما دار خلف الكواليس:

- (تولا) هذا أحد الراغبين للزعامة، فمن خلال مهمة بسيطة كلفه بها زعيمنا المفدى (جولا) لاستعادة رفات أحد الأمراء الهامين في عالمنا، كان قد قضى نحبه أثناء قيامه بمهمة في عالمك.

طفت علامات الاستياء على قسمات وجه (لوما) وهو يردف في أسى:

- وبدلا من استعادة رفات الأمير الشاب، بدل المنشق (تولا) وجهته تمامًا وحاول منذ أن وطأت قدماه الأرض إخضاع البشر تحت سطوته، وذلك كما شاهدت بتحريك الموتى بواسطة السحر الأسود، حتى يؤازروه في تنصيب نفسه إمبراطورا علي البشر بالقوة الجبرية، ولكن لحسن الحظ محاولته الأولى باءت بالفشل الذريع.

عند هذا الحد كانت المشاهد قد انتهت من العرض، و(تولا) يتابع قائلًا:
- وللأسف لن تكون هذه آخر محاولات المنشق (تولا) لفرض هيمنته على البشر، فمثله لا يستسلم بسهولة، وسيواصل محاولاته بطرق شتى حتى يحقق مأربه، ولكني هنا لردعه عن تحقيق أهدافه الخبيثة، ولقد جئتك لطلب مساعدتك يا سيد (حازم) في هذا الشأن.

سأله حازم بنفس السخرية: وبماذا تريدني أن أساعدك؟

قال (لوما) بهدوء:

- اجلس يا سيد (حازم) ودعنا نتحدث.

جلس (حازم) وهو يقول له بعصبية:

- ها قد جلست، أرجو أن تشرح لي الأمر ومنذ البداية..

ابتسم (لوما) ابتسامة نادرة الحدوث على وجهه الجامد دائمًا، وهو يقول:

- وهذا ما أتيت من أجله يا سيد (حازم)، فاستمع إلى جيدا..

اعتدل (حازم) وقد شعر بأن ما سيقوله هذا المخلوق العجيب مهم بالفعل و(لوما) يبدأ حديثه قائلا:

- أنا يا سيد (حازم) من عالم آخر يحيا حولكم ولكنكم لا تستطيعون رؤيته أو الشعور به..

ابتسم (حازم) ابتسامة متهكمة وهو يقول:

- ماذا الآن، هل ستقول لي أنك من الجن؟!

ابتسم (لوما) مرة أخرى قائلا:

- لا لسنا من الجن، وان كان في هذا التشبيه ما قد يساعدك على الفهم، فوجودنا أشد تعقيدا من عالم الجن بل وأعمق من ما تسمونه أنتم بالأبعاد الأخرى والتي لم تستطيعوا حتى إثباتها حتى الآن..

أدهش حديثه (حازم) ليقول وهو يميل للأمام:

- ولكن كيف يكون وجودكم مختلفا؟

رفع (لوما) يده قائلا:

- لن تستطيع الفهم، يكفي أن تعلم أننا عالمان مختلفان تماما..

انعقد حاجبا (حازم) غير مقتنع بالأمر ولكنه قال بضيق مشيحًا بيده:

- حسنا أكمل.

(لوما):

- عالمي متقدم بقرون كثيرة عن عالمك، ولكننا نتبع سياسة تجعلنا لا ننغلق على أنفسنا بعلومنا بل نساعد العوالم من حولنا بإهدائهم بدون أن يشعروا سبل التقدم والتكنولوجيا التي تساعدهم على التطور رويدا رويدا وذلك عن طريق مندوبين متخفيين ينتشرون في هذه العوالم ومنهم عالمك الأرضي، كالساحر الذي كانت جثته مدفونة في مقابركم والذي أخبرتك سابقا بأنه كان أحد أمراءنا متخفيا، لقد كان يحاول مساعدتكم ولكن مواطنيك باغتوه

وقتلوه بدعوى قيامه بالسحر والشعوذة، لقد كان صغيرا غير ذي خبرة وباغتوه بالفعل ولم يستطع الدفاع عن نفسه.

صمت قليلا وبدا كأنه يحاول كتمان مشاعره قبل أن يكمل بنبرة حزينة:

- كان صديقي الصدوق، شابا مدهشا كنت أتنبأ له بمستقبل باهر.

غمغم (حازم):

- تعازي الحارة.

أومأ (لوما) برأسه قبل أن يكمل قائلًا:

- وعند وفاته تم دفنه في مقابركم، وكان الإجراء المتبع في مثل هذه الحالة أن نبعث بمندوبين لأخذ الجثة لدفنها في عالمنا، ولكن حدث أن قام اثنان من لصوص عالمك باقتحام هذه المقبرة بالذات لسرقة الجثة التي بداخلها وذلك قبل وصول مندوبينا، غير عالمين أنهم بمجرد لمسهم لجثة أميرنا قد قاموا بإشعال جهاز حماية مزروع بجسد أمراءنا حماية لأجسادهم بعد الموت وأدى تفعيل جهاز الحماية إلى مهاجمتهم من قبل جنودنا الآليين المكلفين بحماية الجثة، ولكن حدث خلل جعل هؤلاء الجنود الآليين يواصلون هجومهم على زوار المقابر مما أدى إلى مهاجمتهم لشاب وفتاة قادهم حظهم السيء إلى المقابر في نفس الليلة، علمنا كل هذا من خلال مراصدنا الخاصة بمراقبة عالمك مما دفع ملكنا إلى إرسال القائد (تولا) قائد الجيوش لمحاولة احتواء الوضع وتنفيذ الخطة الاحتياطية وهي تحييد جهاز الأمان وإخفاء آثار ما حدث

والعودة بجثة الأمير سريعا، ولكن تمرد (تولا) على الأوامر قبل أن يقوم باستخدام قوته في إيقاظ أجساد الموتى وتحريكهم كجنود آليين كانت مهمتهم نشر الرعب والفزع والموت في عالمك تمهيدا لبدء سيطرة (تولا) عليه، ولكن تم تكليفي من مليكنا المبجل لمحاولة التصدي للأمر فتدخلت سريعًا وقمت مع رجالي بالقتال إلى جانبك علما بأنه لا يمكن إيقاف أجساد الموتى الذين يتحركون بواسطة هذه القوة إلا بإصابتهم في اعناقهم وهذا ما فعلناه بأسلحتنا الخفية بدون أن تلاحظوا، ولولا هذا لما استطعتم هزيمة هذا الجيش من الموتى الأحياء.

استمع إليه (حازم) في صمت قبل أن يتراجع في مقعده قائلا: - بالرغم من عدم قدرتي على استيعاب أغلب ما قلته، ولكن ما هو دوري في هذا كله، ولماذا أتيت إلى الآن؟

(لوما):

- أتيت إليك لتساعدنا، فهناك مدينة في عالمك تدعى (مكة) ممنوع علينا ولوجها بحسب معاهدة قديمة لا داعي لذكرها الآن، وحتى (تولا) لا يستطيع، واكتشفنا أنه قد قام بالاستعانة بلصوص عالمك وهما شخصان يُدعيان (ثروت) و(عشري)، ولقد أمرهما بالقيام بمهمة القضاء على أحد العلماء المصريين المتواجد حاليًا في المدينة السعودية (مكة)، والذي يمنع أحد أجهزته خطته لإيذاء عالمك، وهنا تأتي مهمتك التي نطلبها منك.

صمت (حازم) تمامًا من تأثير صدمة ما يسمعه، و(لوما) يكمل بحزم:

- عليك بالسفر إلى (مكة) ومنع (ثروت) و(عشري) من تدمير الجهاز، أو القضاء على المدعو (محمد مؤمن المصري) بأي ثمن وإلا فلا أحد يستطيع التنبؤ بما قد يحدث حينها، فقد يؤدي هذا إلى دمار عالمك أو ما هو أسوأ، فقد يؤدي هذا إلى وقوع عالمك تحت سيطرة مجنون، مجنون بالغ القوة والوحشية في نفس الوقت، فكر جيدا قبل أن تبلغني بردك، ففي ردك سلامة عالمك أو هلاكه..

اتسعت عينا (حازم) عن آخرها مع نهاية حديثه، فلم يكن يتوقع أن يضعه القدر يومًا أمام مثل هذا القرار الخطير جدًا..

وياله من قرار!



الفصل السابع

(المهندس محمد المصري.. برجاء سرعة التوجه إلى مكتب المدير للأهمية).

ارتفع ذلك النداء الآلي عبر مكبرات الصوت المنتشرة في إحدى مصانع الرقائق الاليكترونية الخاصة بمدينة (مكة) في المملكة العربية السعودية، وفي تلك الأثناء كان المهندس (محمد) متواجدا في أحد المعامل الملحقة بالمصنع، ومستغرقا بجميع جوارحه في عمل بالغ الأهمية، كان يجريه على تلك الشريحة الإلكترونية، تأفف من شدة الغيظ، وهو يضغط زر اتصال خاص هاتفا في حنق:

- حاضر.. سأتوجه حالا إلى مكتب سيادة المدير.

توقف فورا عن العمل والتقط الشريحة الإليكترونية ووضعها في علبة مؤمنة ووضع العلبة في جيبه قبل أن يقوم بالتوجه صوب حجرة المدير، وعقله يكاد يذوب تحت وطأة التفكير المضني عن سبب استدعاء المدير له.

وهناك وبمجرد أن دلف إلى حجرة المكتب، وأوصد بابها من خلفه، طالعه شخص ما وهو يوليه ظهره، كان ينظر من نافذة المكتب، وبرفقته شخص آخر يجلس أمام المكتب، أما المدير نفسه فلم يكن متواجدا، وهنا استرعى انتباهه أمر ما، حيث لاحظ خيطًا رفيعًا من الدماء يجري على أرضية المكتب الملساء، أسفل المكتب مباشرة، لم يتبين له مصدره!

تسمر (محمد) واقفا في وجوم، ورجفة خوف عنيفة تنهش قلبه، وفي تلك اللحظة استدار ذلك الذي كان يوليه ظهره والذي لم يكن إلا (عشري) اللص العتيد في الاجرام، والذي كان ينظر له نظرة نارية وابتدره قائلا بلهجة صارمة تجمد الدم في العروق:

- مرحبا بعالمنا الفذ الهمام.

فور رؤية المهندس (محمد) لوجه محدثه أيقن في قرار نفسه أن كارثة ما على الأبواب ستحل عليه قريبا، فجاوبه بصوت واجف مضطرب:

- مَن أنتَ يا هذا؟ وماذا تريد مني؟!

تنحى الجالس عن كرسيه قائلا في مقت:

- نحن مبعوثا الجحيم..

صمت لحظة حتى يعطى لمتلقي حديثه الأثر المنشود من الذعر، فمرر راحته على عنقه وهو يردف بلهجة شيطانية ماجنة:

- وما جئنا إلا لإزهاق روحك، ومحوك من الوجود تمامًا لتلحق بمديرك الذي يستلقي مذبوحا أسفل مكتبه الآن.

شهق محمد في ذهول وألمٍ، واحتبست صرخ رعب في حلقه، وتقهقر خطوة إلى الخلف، ثم التفت بسرعة مزمعا الفرار بجلدة من المكان، عندها استل (ثروت) كرته السوداء القاتلة وضغط جانبها وهو يصرخ منفعلًا:

- حانت ساعة موتك يا هذا.

اندفعت من الكرة دفقة قاتلة من أشعة الليزر، تفاداها (محمد) بأعجوبة وهو يتعثر ويسقط أرضا من شدة ارتباكه، فواصلت الاشعة القاتلة طريقها لتخترق باب المكتب محدثة به فجوة هائلة محترقة الحواف، فصعق (محمد) وهو يحملق في الأثر الناتج من الأشعة الفتاكة، التي لو كانت لامست جسده لسحقته سحقا بلا رحمة، ومع مرآه للأثر المدمر للأشعة طفت على السطح غريزة البقاء التي أودعها الخالق عز وجل في جسد كل كائن حي، وبها دبت في أوصاله طاقة هائلة جعلته يهب من عثرته ويقفز عبر الفجوة التي تكونت في باب الحجرة ومنها وجد نفسه في ممر المبني تطارده الأشعة القاتلة وهو يواصل العدو في خط متعرج في محاولة يائسة للفرار من مطارديه، الذين كانت سرعتهم بطيئة نسبيا ولا تضاهي سرعة من يفر من براثن الموت المحتوم، لذا نجح (محمد) في بلوغ نهاية الممر القصير ومنه انحرف إلى مصعد المبنى وهناك تغاضى أن يستقل المصعد، مع الزحام والتدافع الشديد الذي وجده أمامه، لذا هبط سريعا في الدرج الداخلي ليذوب بين العاملين، وضربات قلبه تكاد أن ترديه من شدتها!

وهنا زفر (عشري) نفسا ملتهبا ثم هتف في غضب:

- تبًا لهذا الرجل.. كيف فر من الموت بهذه البساطة؟!

قالها وهو ينفث عن غيظه ويفرط في إطلاق أشعته الساحقة بلا هوادة، وبعشوائية في جميع الأنحاء وعلى كل شيء يعترض طريقه، ومع هدير صوت

انطلاق أشعة الليزر، ونتائجها المدمرة من انهيار بعض جدران المبنى، وأحداث تلفيات كارثية مدمرة في الأجهزة والمعدات، حدثت حالة هرج ومرج بين صفوف العاملين في المصنع، فانطلقوا يدفعون بعضهم دفعا للخروج من بوابات المصنع الخارجية واختلط الحابل بالنابل، مع دوي صافرات الإنذار في كل ركن من أركان المبنى معلنة عن حالة طوارئ قصوى، وإبان ذلك قام (ثروت) بضغط بقعة منبعجة في باطن الكرة قبل أن يلقى بها عاليا، فتسمرت الكرة في الهواء لثوان، وكأنها تتحدى قانون الجاذبية الأرضية، ثم انطلقت تتهادى في الفراغ خلف هدف محدد مسبقا، و(ثروت) يهتف في صوت جهوري:

- فلنترك كرة الموت تقتص منك أيها الوغد، وذلك بفضل بصمة وجهك التي انطبعت عليها.

كان (محمد) لايزال يتواجد في نطاق المبنى عندما راحت الكرة تقتص أثره وتحدد وجهه من بين وجوه المئات من العاملين بالمبني، وبالفعل رصدته الكرة في تلك اللحظة وهو ينسل بين الجموع محاولا بلوغ البوابة الخارجية للمصنع!

وفي تلك الاثناء كان(عشري) و(ثروت) يقفان داخل الشرفة الخارجية للمبنى يتابعان الحشود في الساحة الواسعة، وهي تندفع للهروب بعيدا عن

موطن الخطر، عندها توهجت اطراف الكرة وانبعثت منها شرارات نارية مخيفة، وهي تنطلق كالصاروخ نحو هدفها.

التفت (محمد) على نحو غريزي يستطلع مصدر الوهج الناشئ الذي أحدثته الكرة، فهاله ما رأى!

فالكرة كان وهجها يتضاعف بشدة حتى وصل لمرحلة حرجة لدرجة الاحمرار، توشك على أن تصبح كرة نار ملتهبة قادمة من أغوار جهنم، وهي تنقض عليه انقضاضة مباشرة، ومعها تسمر (محمد) في مكانه وأغمض عينيه وهو يتمتم بالشهادتين موقنا في قرار نفسه أنها النهاية حرفيا هذه المرة!

ولكن أصابه الذهول وهو يفتح عينيه، ويتحسس جسده، ليجد نفسه لا يزال سليما معافى بلا خدش واحد!

فاشتعل عقله بسؤال واحد:

- كيف نجا من الموت هذه المرة؟!

وكان الجواب عند (عشري) و(ثروت) وكذلك بعض المتابعين من العاملين بالمصنع ممن رأوا بأم أعينهم المشدوهة ما قد حدث آنذاك من شيء خارق للمألوف!

عندما تهيأت كرة النار للانقضاض على هدفها وسحقه، ظهر في قلب المشهد دخيل عكس كل النتائج المتوقعة، هذا الدخيل كان الرائد (حازم) الذي ظهر في مشهد أسطوري مبهر في سماء المصنع وهو يطير في الهواء بفضل حزام

طيران متطور أعطاه له (لوما) بعد موافقته على حماية المهندس (محمد) والذود عنه ضد جميع الأخطار، وما إن وصل إلى خط المواجهة مع قاتليه، حتى رفع كفه اليمنى التي واراها قفاز غريب الشكل ضغط إبهامه بسبابته، فانبعثت على الفور من القفار خمسة خيوط من أشعة زرقاء سرعان ما تمددت وتكاثفت لتصنع ما يشبه ستارة ضوئية، ارتطمت بها كرة النار بمنتهى العنف قبل أن تصل لجسد (محمد) ببضع مليمترات، فنجحت الستارة الضوئية في امتصاص شدة الكرة التي تقوقعت بداخلها كأنها لؤلؤة وديعة داخل محارتها، ثم سرعان ما امتزجت الكرة مع الستارة الضوئية، وتلاشيا في الفراغ مخلفان بقعة ضوئية تركت أثرا خافتا كشمعة تذوى.

وهتف الرائد (حازم) في نبرة حماسية:

- لا تخش شيئا قط يا سيد (محمد)، انا هنا لانقاذك.

جاوبه المهندس (محمد) بنظرة تحمل ألف سؤال وسؤال، أبرزهم سؤال هام برز على السطح مفاداه:

- من أنت أيضا وماذا يحدث هنا؟

هنا جن جنون (عشري) و(ثروت) فقام الأول برفع كرته بيمينه، وهو يصرخ في غضب جنوني:

- سحقا لهذا الرجل! من هو وكيف ظهر؟ لقد أفسد مهمتنا!

قالها وهو يصوب كرته ناحية الرائد (حازم) ويضغط جانبها، في اللحظة التي أطلق فيها (حازم) أشعة قفازه، وهنا تسمر القلم في لحظة فارقة عاجزا عن تحديد أيهما سينتصر على الآخر، وانتظر ما سيسفر عنه هذا التحدي القاتل، الذي كانت نتيجته أن خسر أحدهما خسارة فادحة بحق، حيث رأى المتابعون للحدث عن قرب أشعة كرة (عشري) وهي تطيش في الهواء تزامن ذلك مع إطلاقه صرخة عذاب رهيبة، وجسده يتلوى من الألم الشنيع، من جراء إصابة مباشرة لذراعه من أشعة قفاز الرائد (حازم)، أدت إلى بتر كفه اليمنى القابضة على الكرة لتتقافز على أرضية الشرفة، قبل ان تستقر وتخمد حركتها تمامًا، مخلفة انبثاق الدماء القرمزية الحارة بغزارة من ساعده مثل رشاش ري لا ينقطع هطوله، وبمجرد أن رأى (ثروت) ما حل برفيقه، حتى اسرع بالانقضاض على كرته الساقطة وقام بتخليص الكف المبتورة من حولها، ومن ثم قام برفعها وهو يعاود تصويبها، ولكن هذه المرة نحو هدف مختلف تماما، لا يخطر على بال أحدا من الموجودين على الإطلاق!

كان الرائد (حازم) يتوقع أن يعيد (ثروت) الكرة ويحاول اصابة المهندس (محمد) في مقتل ولذلك استعد بكل قواه للدفاع عنه وردع الضربة القادمة، ولكن خاب ظنه تمامًا، وجاءت الضربة من حيث لا يتوقع، بعدما اتضح أن الهدف هو خزان الطاقة المسؤول عن إمداد المصنع بالطاقة اللازمة لتشغيله!

ألقى (ثروت) بكل ما أوتي من قوة كرة النار صوب خزان الطاقة القريب منه، وهو يتقمص في تلك اللحظة شخصية اليهودي الضخم (شمشون) وهو يستعد لهدم المعبد على الجميع، صارخا في غضب بلغ الذروة:

- عليّ وعلى اعدائي!

قالها وعينيه تشتعلان كجمرتين من لهب، مع إصابة هدفه بدقة متناهية، فحدث ذلك الانفجار الرهيب الذي أحدث دويًا هائلًا بلغ مسامع قاطني مدينة (جدة) وما حولها، وعلى إثره نتج زلزال قوي جعل الأرض ترتج تحت أقدام العاملين بالمصنع، حتى وصل مدى الارتجاج العنيف لكيلو متر كامل!

وللمتابع عن كثب لما حدث يجد أن في الموجة الأولى للانفجار تناثرت الشظايا في مساحة ضخمة، لتودي بحياة العديدين، ومن حالفهم الحظ ونجوا من الموجة الأولى، كانت الكارثة في الموجة الثانية حينما انهار المبنى الشاهق منطبقا على رؤوس الأشهاد من الأحياء الباقين، وبات جليًا من شدة وقوة الانفجار أن حجم الخسائر سيكون فادحا وبشدة.



الفصل الثامن

انتشرت سيارات الشرطة والإسعاف السعودية حول موقع المصنع المنهار، وانتشر رجالها في أرجاء المكان المدمر يزيلون الانقاض ويرفعون أشلاء القتلى وأجساد المصابين وسط فوضى عارمة انتشرت في عموم المكان مع انتشار رجال الصحافة والإعلام السعوديين والعرب ووكالات الأنباء العالمية أيضا والذين هرعوا من فورهم لتغطية هذا الحادث الرهيب الغريب على دولة مثل السعودية..

ووسط كل هذا وقف المقدم (نواف الجاسم) مدير الأمن ب(مكة) يراقب متجهما عمليات إزالة الآنقاض ورفع الجثث قبل أن يتقدم منه أحد رجاله قائلا له بانفعال مصدوم:

- سيدي، الدمار هنا رهيب، الضحايا بالعشرات، الناجون قلائل أغلبهم بإصابات بالغة أو بعاهات ستستمر معهم بقية حياتهم، هذا إن عاشوا.

نظر إليه (نواف) بنفس التجهم قبل أن يسأله بصوت حاول جعله قويًا صارمًا:

- وماذا عن الكاميرات، هل توجد كاميرا سليمة نقلت ما حدث؟

أشار رجله إلى ما حوله قائلا:

- المكان أمامك يا سيدي، هل تتوقع وجود أي شيء سليم هنا؟

أدار (نواف) عينيه مرة اخرى في ارجاء المكان، قبل أن يتنهد بحزن واضح وهو يتساءل.. ترى ماذا حدث في هذا المكان بالضبط؟!

ولكن عقله لم يتوصل إلى إجابة شافية قط.

***

فتح (عشري) عينيه وهو يطلق صرخة ألم أوقفتها يد قاسية وضعت على فمه وصاحبها يقول بخشونة:

- تمالك نفسك يا (عشري)، حتى لا نثير الانتباه إلينا.

نظر (عشري) مذعورا إلى وجه (ثروت) الذي يحدثه والذي رفع يده قائلًا له:

- تحدث بهدوء، فلا نضمن مرور أحد بالقرب من هنا.

نظر (عشري) حوله يتطلع إلى ذلك المكان الواسع القابعين به قائلا: ماذا حدث؟ وأين نحن؟

قال (ثروت) بعصبية وهو يجلس على أحد الصناديق:

- نحن في مخزن مهجور قرب ذلك المصنع المنهار، لقد نجحت في احتواء جسدك والانتقال بعيدا قبل الانفجار بثانية واحدة عن طريق جهاز الطوارئ الذي أمدنا به هذا الكائن الغريب (تولا).

رفع (عشري) يده ليمسك رأسه في ألم قائلا بحيرة:

- انفجار؟ أي انفجار؟

ثم هتف بذعر شديد متطلعا إلى يده:

- رباه، يدي!

تطلع في هلع إلى موضع كفه المبتور والذي تحيط به الضمادات الدامية و(ثروت) يقول متنهدا:

- آسف يا صديقي، لقد خسرت يدك في المعركة.

تذكر (عشري) كل شيء لينهار باكيًا وهو يصرخ:

- هذا ما نالنا من تلك المهمة اللعينة، ضاعت يدي وضاع مستقبلي الاجرامي، وضاع كل شيء و..

وهنا تذكر شيئا فنظر إلى (ثروت) بلهفة قائلا:

- ربما لم يضع كل شيء، ربما يعوضنا هذا ال(تولا) عن كل خسائرنا، ربما...

قاطعته نظرة حسرة بدت واضحة في عيني (ثروت) وهو ينظر للأرض قائلا:

- حتى هذا ربما نخسره يا صديقي.

تساءل (عشري):

- كيف ذلك؟!

روى له (ثروت) ما حدث في اللحظات الأخيرة من الصراع حتى لحظة الانفجار وهروبهما في اللحظة الأخيرة لتتسع عينا (عشري) في هلع وهو يهمس:

- لم تحصل على جثته، جثته التي كانت بمثابة هروبنا من الفقر والاجرام والذل، أضعت الجثة التي كان وجودها سيعوضني عن يدي الضائعة.

نظر له (ثروت) هاتفا:

- وماذا كنت تريد مني أن أفعل بعد أن تسبب ذلك المنقذ الغامض في قطع يدك أمام عيني، وكاد أن يهرب بغنيمتنا، لم أدرِ إلا وأنا أفعل ما أفعله!

يصرخ (عشري) بدوره:

- وهل عادت إليك غنيمتك هكذا؟ لقد أضعتها وإلى الأبد، ماذا سنفعل الآن أخبرني؟!

حاول (ثروت) التحدث ولكنه لم يجد ما يقوله وهو ينظر إلى جهاز بيده أعطاه لهما (تولا) مخبرا لهما بأنه وسيلة اتصالهما به فور انهاء المهمة وهو يتساءل هل يتصل به ويخبره بما حدث، وماذا قد يحدث حينها؟!

***

(سيدي يوجد أحد الناجين لديه أقوال عن الحادثة..)

نطق بها مساعد المقدم (نواف) لينظر هذا الأخير إليه هاتفا:

- أين هو؟! آتني به سريعا بالله عليك..

ذهب مساعده وجاء بعد مرور لحظات برجل من العاملين تحيط برأسه الضمادات ولكن كانت حالته جيدة نوعا ما وهو يسير مستندا على ذراع المساعد ليبادره (نواف) قائلًا:

- هل رأيت ما حدث يا رجل؟ هيا أخبرني؟!

زاغت عنيا الرجل وهو يجيبه قائلا:

- رباه، ما حدث كان رهيبا، كان هناك هذان الشخصان الذان بدا واضحا أنهما يطاردان المهندس (محمد المصري) من قسم التكنولوجية الفائقة، وهو يهرب منهما في فزع، وكانا يستخدمان أسلحة رهيبة لمحاولة الإمساك به أدت إلى دمار رهيب، قبل أن يظهر هذا الرجل الجديد!

تبادل (نواف) ومساعده النظرات قبل أن يقول (نواف) محاولًا استيعاب كل هذا الكم من المعلومات:

- رجل!! أي رجل؟!

أجابه الرجل:

- رجل ظهر من العدم طائرا في السماء وبدأ في حماية المهندس (محمد) بطرق عجيبة أشبه بالسحر وكاد ينجح في هذا بالفعل بعد أن نجح في بتر يد أحد المهاجمين، لولا قيام الاخر بإطلاق سلاح ما نحو خزان الطاقة الخاص بتجارب الوقود في المصنع مما أدى إلى انفجار رهيب لم أشعر بعده إلا برجال الإسعاف وهم يقومون بإفاقتي، لقد نجوت من الموت بأعجوبة وربما لولا بعد مكاني عن موقع الانفجار لهلكت بالتأكيد، ولكن زملائي واصدقائي، جميعهم رحلوا، هلكوا، قتلهم الانفجار، لقد رأيت الجثث والأشلاء بنفسي، هذا رهيب.. رهيب!

سأله (نواف):

- وأين كان يقع ذلك الصراع في لحظاته الاخيرة؟!

اشار الرجل إلى مكان ما قائلا:

- كان المهاجمان هنا، وكان المهندس (محمد) والشخص الآخر هناك!

أخذ منه (نواف) بعض التفاصيل الخاصة بطرق الهجوم والدفاع في تلك المعركة العجيبة ولم يخف اندهاشه بما سمعه من الرجل ولكنه لم يعلق تاركا هذا لما بعد، وهو يترك الرجل لرجال الإسعاف متجهًا إلى منطقة الصراع مديرا عينيه في الارجاء باحثا عن اي طرف خيط يميط اللثام عن غموض هذا الحادث قبل أن يثير انتباهه شيء ما فيتجه ناحيته على الفور متطلعا إليه قبل أن يغمغم لنفسه:

- رباه، وما هذا أيضًا؟!

وبدا له مع ما يراه ان تلك القضية قد تكون أغرب القضايا التي مرت به في حياته بأكملها.

***

(لستما متأكدين من موته؟!)

صرخ بها (تولا) وصورته المجسمة التي ظهرت في منتصف المخزن تكاد تشتعل غضبا وهو يكمل:

- قلت لكما أن تحضرا لي جثته أيها الغبيان!

هتف (ثروت) بعصبية:

- لم يكن أمامنا سوى هذا، وإلا هرب.

صرخ (تولا) مرة اخرى:

- فتقوم بتفجير المكان، ألم تضع في اعتبارك إمكانية نجاته؟ لم يكن على الاعتماد على غبيين مثلكما أبدًا.

هتف (عشري) بعصبية مماثلة:

- لقد نفذنا المطلوب كما أمرتنا بالضبط، وكدنا ننجح لولا ظهور ذلك الشخص، أنت لم تخبرنا بإمكانية حدوث شيء مثل هذا.

هدأ صوت (تولا) وهو يقول مفكرًا:

- أنا أيضا لم أتوقع شيئا مثل هذا، فأعدائي أيضا لا يستطيعون الدخول هناك، ولم أتوقع حذوهم حذوي واستخدامهم بشريًا للمهمة.

ثم صمت قليلا مفكرا مرة أخرى بينما تبادل (ثروت) و(عشري) النظرات في توتر قبل أن يقول (تولا) فجأة:

- حسنا، ربما لديكما فرصة لإنجاز الأمر، أريد منكما أن تذهبا إلى منزله وتقوما بتدمير جهازه تمامًا..

قالها ثم تلاشت صورته من المكان وكأنها لم تكن، في نفس اللحظة رفع (عشري) و(ثروت) جهازي الاتصال الفائقين أمام أعينهما، ليطالعا إحداثيات مكان منزل المهندس (محمد) وكلهما إصرار على تنفيذ المهمة هذه المرة على الوجه الأكمل.

وبلا ذرة خطأ واحدة.

***

(حمدا لله على سلامتك..)

اعتدل المهندس (محمد) بغتة وهو يستمع إلى تلك الكلمة ليجد نفسه راقدا على فراش نظيف في غرفة أنيقة الاثاث وأمامه الرائد (حازم) الهادئ الواثق، وقد نطق بالجملة السابقة للتو..

تراجع المهندس (محمد) بذعر وهو يقول:

- من أنت؟ وما الذي أتى بي إلى هذا المكان؟!

أشار له (حازم) بهدوء قائلا:

- مهلًا مهلًا، أنا من انقذك من ذلك الهجوم الرهيب، ألا تذكر؟!

بدأت ذاكرة المهندس (محمد) المشوشة تعود اليه وهو يتذكر ما حدث ليهتف:

- يا إلهي.. المصنع.. المدير.. زملائي، الانفجارات، ذلك الانفجار الأخير، ولكن كيف نجونا منه، لقد كان قريبا للغاية!

قال (حازم) متنهدًا:

- نجونا بفضل الله وحمده وبفضل ذلك الجهاز العجيب للحماية الذي تم تزويدي به ونجحت في استخدامه في اللحظة الاخيرة محيطا جسدك وجسدي به، والذي منع عنا قوة الانفجار التي أطاحت بكل شيء.

ثم ظهر الألم على وجهه وهو يدفنه بين يديه قائلا بخفوت:

- رباه، كان مشهدا رهيبا لن أنساه ما حييت.

ظهر الذعر على وجه المهندس (محمد) وهو يقول:

- ماذا تقول، هل تقول إن مصنعي قد تدمر، وزملائي وأصدقائي قد قضوا نحبهم؟!

رفع إليه (حازم) عينين مغرورقتين بالدموع قائلًا في أسى: - للأسف، لم ينج سوى القليل، لقد رحلت سريعا حاملًا جسدك قبل وصول الشرطة، ولكن الدمار كان واضحًا.

أجهش (محمد) بالبكاء في لوعة وهو يدفن وجهه بين ركبتيه لدقائق احترمها (حازم) حتى هدأ (محمد) أخيرا وهو يرفع إليه عينيه قائلا: - ولكن من أنت، ومن هؤلاء، ولماذا كانا يريدان قتلي بهذه الوحشية؟

تنهد (حازم) قائلا:

- أنا هنا لحمايتك، وسأخبرك بكل ما أعرفه.

ولمدة نصف ساعة أخذ (حازم) يشرح للمهندس (محمد) كل ما يعرفه عن هذا الامر وهذا الاخير ينصت إليه مذهولًا قبل أن يهتف فور انتهاءه من الحديث:

- يا إلهي.. جهازي يعوق خطة السيطرة على الأرض...

نظر له (حازم) قائلًا:

- هو كذلك بالفعل؟!

هتف (محمد):

- إذن لابد من حمايته، مهما كلفنا الامر..

نهض من مكانه وهو يردف قائلًا:

- ليس هناك وقت، لابد أن نذهب إلى منزلي الآن وفورًا.

نهض (حازم) بدوره قائلًا في تردد:

- ولكن، هذا قد يكون فيه خطورة على حياتك.

سبقه (محمد) قائلًا:

- وإذا لم أذهب قد يكون هناك خطورة على البشرية بأكملها، هيا بنا.

أنهت كلمته تردد (حازم) فتبعه إلى الخارج غير عالم بتوجه (ثروت) و(عشري) في نفس التوقيت تقريبًا إلى نفس المكان، مما قد ينبئ بمواجهة جديدة رهيبة لا يعلم أحد كيف ستنتهي..

أبدًا.

***

الفصل التاسع

بدأ ذلك الصباح غائما باردًا على نحو لم تألفه المدينة السعودية (مكة) في تلك الفترة من العام الذي قارب على مشارف فصل الصيف، وبعثت تلك البرودة الاستثنائية الكسل والخمول في قلوب السواد الأعظم من سكان المدينة، فقبعوا في بيوتهم غير عابئين بمشاغلهم في ذلك اليوم، وإن كانت هناك فئة قليلة قررت تحدي الطقس السيء ومتابعة أعمالها اليومية، فجالوا بسياراتهم خلال الشوارع والطرقات، ومن بينهم ظهرت تلك السيارة الرياضية الصغيرة، التي استقلها كلا من المهندس (محمد) والرائد (حازم) كانت سيارة الأخير الذي انطلق بها في تلك الساعة المبكرة، دون إبطاء عبر الطريق الطويل الذي يشق الصحراء متجها إلى حيث منزل المهندس (محمد) الذي أخذ يراقب الطريق في قلق حذر، وهو يطلق زفرة حارة من اعمق اعماق قلبه قبل أن يهتف:

– اتمنى أن نصل إلى البيت قبل فوات الأوان.

واصل (حازم) انطلاقه بالسيارة وهو يقول في توتر:

– ستكون كارثة حقيقية لا يعلم عواقبها إلا الله، لو وصل هؤلاء المجرمون إلى منزلك أولًا.

قالها وهو يزيد من سرعة سيارته، وفجأة اعتدل في مقعده واشار بأصابعه إلى الأمام، وقد تفجرت قنبلة من الدهشة العارمة في أعماقه وهو يهتف في ذهول:

- ما هذا الشيء بالضبط؟!

نظر (محمد) إلى حيث يشير وأخذ يحدق في الفراغ الممتد أمامه، واتسعت عيناه في شدة، لما تراءى له في الأفق، فهناك على ارتفاع عشرة امتار من رمال الصحراء كان هناك قرص أسود معتم يسبح منفردا في نعومة مدهشة، دون أن تبدو له أية ملامح واضحة، وفي سرعة متوسطة كان ذلك القرص الشبيه بأسطوانة موسيقية قديمة ضخمة يندفع نحو سيارة الرائد (حازم) مباشرة!

وسرى توتر عنيف في جسد (حازم) عندما شاهد القرص يندفع نحوهم فزاد من سرعة السيارة بحركة غريزية وانطلق بها في نفس اللحظة التي زاد القرص فيها من سرعته و اندفع يطارد السيارة على نحو لم يدع مجالا للشك في أنه يتبعها عمدًا!

ضاعف (حازم) من سرعة سيارته أكثر وأكثر في محاولة للإفلات من براثن هذا الشيء الغامض الذي لا يدري كنهه، إلا أن القرص الاسود ضاعف من سرعته بدوره، وراحت المسافة بينه وبين السيارة تتقلص، وتجمد (محمد) في مقعدة من شدة الرعب واتسعت عيناه في ارتياع وحازم يغمغم في توتر:

- إنه يطاردنا في اصرار مخيف.

امتقع وجه (محمد) بشدة وانكمش جسده في مقعده، وبعينين متسعتين حتى

آخرها هتف في ذعر:

- افعل شيئا يا (حازم).

قالها وثنى ركبتيه إلى صدره وأخفى وجهه بينهما وهو يحمي وجهه بذراعيه، وبينما حاول (حازم) جاهدا أن يتمالك رباطة جأشه وضغط دواسة الوقود، لينطلق بالسيارة بأقصى سرعة ممكنة، مستخدما كل مهاراته في القيادة، وهو يناور ويراوغ ويتحرك بسرعة وخفة ولكن القرص الأسود تجاوز كل هذه المناورات وواصل اقترابه من السيارة وانطلق فوقها مباشرة وراحت أطرافه تتألق بلون أحمر ملتهب انتشر على سطحه بسرعة مدهشة حتى شمله كله كما لو أن النيران قد اشتعلت فيه بغتة ثم انطلق منه شعاع أحمر أو بمعنى أدق حزمة حمراء مضيئة!

حزمة ضوئية أحاطت بالسيارة كلها فتوقفت محركاتها عن العمل دفعة واحدة وراحت ترتفع عن الارض ببطء نحو القرص الاحمر المتألق وترتفع والقرص يتألق اكثر واكثر وكأنه يستعد لالتهام فريسته وصرخ (محمد) صرخة مخيفة وشهق (حازم) بقوة ثم التهم القرص السيارة عن آخرها، وتجمد الزمن بالنسبة ل(محمد) و(حازم) بعد أن فقدا الوعي تمامًا!

والمدهش أنهما أفاقا في نفس اللحظة ليجدا أنفسهما وقد أحاط بهما ظلام دامس من جميع الاتجاهات ولا يزالا متواجدين في داخل السيارة التي توقف محركها عن الدوران، ومضت لحظات من صمت ثقيل قبل أن يغمغم (محمد)

بصوت حمل كل ذعر وفزع الدنيا:

- أين نحن يا (حازم)؟!

تلفت (حازم) حوله وهو يزدرد لعابه في صعوبة وقال في توتر بالغ:

- لست أدري يا صديقي. صدقني حقا لست أدري!

وفي تردد ضغط زر إضاءة مصابيح السيارة لتسطع الأضواء وسط الظلام الدامس، واتسعت عيونهما في دهشة بالغة، عندما طالعهما في الفراغ صورة هولوجرامية ثلاثية الأبعاد للقائد (تولا) بادية بجلاء على قسمات وجهة علامات الاستياء والحنق..

- مرحبًا بمنقذ الارض، وملاكها الحارس.

شعر بطلينا بهذه العبارة الحادة تخترق تلافيف عقليهما، لتصيبهما الدهشة الشديدة، و(محمد) يهتف في اضطراب وانزعاج:

- ما ألاعيب الحواة هذه؟!

اندفعت عبر عقله قهقهة مدوية وفي إثرها رسالة عقلية مفادها:

- لا يزال في جعبتي الكثير ولكنكما لن ترياه، فلقد شارف عمراكما على الانتهاء.

-إذن أنت المجرم المجنون الذي يريد السيطرة على كوكب الأرض.

قالها (حازم) في صرامة، فجاوبه (تولا) في رسالة عقلية أخرى:

- أجل أنا هو يا صاح، أينعم لا قدرة لي على دخول مدينتكم المقدسة هذه،

ولكن مركبتي المتطورة يمكنها دون معوقات فعل ذلك، فبعد أن فشل خادماي في القضاء علي المنقذ المنتظر، ها أنا ذا أرسل بمركبتي لمحوكما من الوجود تمامًا.

دب خوف غريزي في صدر (حازم) ولكنه حاول جاهدا أن يتجاهله ويبدو قويا متماسكا ولو ظاهريا، وهو يطلق ضحكة ساخرة ويغمغم بلهجة حازمة:

- هيهات أن يفلح مسعاك القذر أيها الحقير.

قالها وهو يضغط زر اغلاق مصابيح السيارة، وفي نفس اللحظة تقريبا تلاشت صورة القائد (تولا) من الفراغ تزامن ذلك أن برز ضوء أحمر قان في قلب الظلام، كاشفا عن أربعة وحوش ضخمة تحيط بالسيارة من جميع الاتجاهات، وحوش في حجم الديناصورات، لها تكوين أشبه بالزواحف مع رؤوس كرؤوس النمل، ومخالب تشبه تلك التي تستخدمها سرطانات البحر، ومع الخطر المحيق به حملق (محمد) في وجه (حازم) وبعث له بنظرة مذعورة متوترة، قبل أن يقول في عصبية بالغة:

- لماذا يا ربي دون سواي من البشر تحدث لي هذه المصائب فجأة بين عشية وضحاها؟... لماذا؟ لماذا؟

اخذ جسده ينتفض بعنف شديد، حتى بدا حرفيا كالممسوس، وهو يردد تساؤله العصبي، فقال له حازم بقوة: تماسك يا رجل وكن واثقًا من أن الله سيجد لنا مخرجا من هذه المحنه العصيبة و..

بتر عبارته حين تناهى إلى مسامعه زمجرات الوحوش المخيفة وهي تنقض على السيارة وتضرب سطحها المعدني، ثم لم تلبث أن هوت على زجاجها بمخالبها القوية، وملامحهم البشعة تحدق في الجالسين داخلها وزمجراتهم الرهيبة تخترق آذانهم على نحو مرعب، وتحت وطأة الضربات المتلاحقة لمخالب الوحوش سرعان ما ظهرت شروخ في الزجاج، وبدا من الواضح أن الزجاج لن يحتمل طويلا، وأنه لن يلبث أن ينهار وتندفع عبره المخالب الرهيبة!

وفي تلك الاثناء بدا الرائد (حازم) شخصًا سلبيًا عاجزًا حتى عن فعل اي شيء، و حدث نفسه انه رجل أمن لا مكان في قاموسه للتخاذل لذا عقد العزم على المقاومة حتى الرمق الأخير، وفي غمار هذه الأجواء المضطربة أسرع بالتقاط مسدسه وصوب فوهته في اتجاه الوحش المتواجد في مؤخرة السيارة، واخذ يضغط زناد المسدس، فانطلق الرصاص كالسيل ليهشم زجاج السيارة الخلفي ويواصل طريقه ليخترق جسد الوحش المخيف في مواضع شتى، فاطلق الوحش زمجرة رهيبة ارتج لها المكان كله، و(حازم) يهتف في ظفر:

- فلتذهب إلى أغوار الجحيم أيها الوحش الملعون.

تدفقت بغزارة من جسد الوحش الضاري دماء الحياة على شكل سائل فسفوري اللون، أخذ (محمد) يحملق فيه غير مصدق ما يراه بأم عينيه، وسرعان ما تهاوى الوحش أرضًا مضرجًا في دمائه الفسفورية، وفي أعقاب ذلك ارتفعت حدة زمجرات بقية الوحوش التي أخذت تتكالب على جسم

السيارة وتضرب زجاجها بعنف حتى أتت عليه تمامًا، وهنا باتت وجوه بطلينا مكشوفة للوحوش، التي امتدت مخالبها القوية محاوله الفتك بهما وافتراسهما، فسقط قلب (محمد) بين قدميه وهو يردد في خوف:

- لا لااااا لا أريد أن أموت بهذه الطريقة البشعة!

- تماسك يا صديقي ولا تكن بهذا الضعف، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

قالها (حازم) وهو يضغط الزناد لتنطلق الرصاصات مرة أخرى لتصيب مباشرة مخلب أحد الوحوش ويسمع صوت زمجرته الغاضبة المتألمة ومخلبه الضخم المخيف يستقر على مقدمة السيارة ويتقافز فوقها على نحو مرعب!

ولثوان اتسعت عيون بطلينا لما حدث، قبل أن ينتزع الرائد (حازم) نفسه من توتره وانفعاله، فأدار بسرعة محرك سيارته ودفع عصا السرعة إلى وضعية العودة للخلف، لتتراجع السيارة بالفعل أمام انقضاضة الوحوش الثلاثة، ثم أدار عجلة قيادتها بحركة حادة فدارت حول نفسها نصف دائرة في عنف، ثم أعاد ذراع السرعة إلى وضع الانطلاق وهو يضغط دواسة الوقود، لتنطلق السيارة بأقصى سرعة ممكنة!

وأخذ (محمد) يزفز في حرارة، قبل أن يتمتم وقد تسلل إلى صدره بعضا من التفاؤل:

- أحسنت صنعا يا (حازم)، هيا أبحث لنا عن مخرج من هذا الفخ القاتل.

كانت مصابيح السيارة تضيء الطريق المخيف لمسافة محدودة للغاية على الرغم من شدتها، وفجأة ظهر ل(حازم) على جانب الطريق بصيص من الضوء، فدب في جسده شعور بالأمل أن تكون هذه البقعة هي نقطة النجاة!

وبالفعل أدار بسرعة عجلة القيادة، واندفع نحو بقعة الضوء في جسارة مدهشة وهو يردد في حماس منقطع النظير:

- هيا يا صديقي نعبر سويًا منفذ الحرية والنجاة.

لم يكد ينتهي من عبارته حتى انطلق بالسيارة نحو بقعة الضوء، وواصل اندفاعه نحوها كالصاروخ بمنتهى الإصرار والعزيمة، وما كادت السيارة تصل بهم إلي بقعة الضوء هذه، حتى انتبه (حازم) إلى أنها نقطة الخروج بالفعل من قلب القرص الاسود الطائر!

نعم كان القرص الأسود يحلق في الهواء على ارتفاع رهيب!

عرف (حازم) هذه الحقيقة المفزعة، ولكن بعد فوات الأوان للأسف، فحاول جاهدًا أن يضغط مكابح السيارة بكل قواه، ولكن سبق السيف العذل!

فالسيارة كانت قد تجاوزت المخرج بسرعتها القصوى، وراحت تحلق في الهواء لبضعة امتار، لتتسع عينا (محمد) في هلع، وهو يغمغم في ذهول مطلق:

- رحماك يا إلهي!

قالها والسيارة تهوى براكبيها من حالق دون أدنى أمل في النجاة!

أو الفرار من الموت المحتوم!

الفصل العاشر

أخذ (لوما) يدور في غرفته جيئة وذهابًا بتوتر شديد..

فلقد انقطع الاتصال بينه وبين (حازم)، منذ أن ابلغه هذا الاخير بأنه في طريقه لمنزل (محمد المصري)..

لقد انتظر اتصاله ليخبره بما حدث بعد ذلك، ولكن هذا الاتصال تأخر، وفشلت محاولاته هو للاتصال به..

كان هذا الامر يقلقه بشدة ويجعله يشعر بوقوع مكروه ما ل(حازم) وربما المهندس(محمد) ايضًا..

لم تكن هناك وسيلة واحدة لمعرفة مصيرهما، وهذا ما كان يزعجه ويخنقه أكثر وهو يقف ها هنا مكتوف الأيدي بلا دور حقيقي في هذه الاحداث التي تدور بلا توقف و....

قاطعه من أفكاره رنين جهاز اتصاله الداخلي، فرفعه سريعًا قائلا: - القائد (لوما) يتحدث.

أتاه صوت أحد رجاله وهو يقول منفعلًا:

- سيدي، لقد نجح علماؤنا في تحديد الموقع الجديد للقائد المتمرد (تولا)، إنه يقع في البعد الأرضي، بعد البشر.

تألقت عينا (لوما) حرفيًا ببريق أزرق أخاذ وهو يهتف:

- أخيرًا، سآتي حالا.

وهرع من فوره إلى حيث مقر العلماء وهو يقول لنفسه أنه قد آن الأوان أخيرا ليشارك في هذه المهمة..

وينهيها..

***

هتف (محمد) بانهيار:

- إنها النهاية، سنموت يا (حازم).

لم يفقد (حازم) تماسكه ونظر سريعًا من النافذة التي بجواره، قبل أن يحل حزامه سريعًا وهو يصرخ ب(محمد):

- حل حزامك واقفز من الباب.

تردد (محمد) فصرخ به (حازم):

- هيا لا يوجد وقت لهذا التردد، ثق بي.

حسمت صرخته تردد (محمد)، فحل حزامه سريعًا وفتح الباب، ليلحق ب(حازم) الذي سبقه في القفز من السيارة، ليلاحظ للمرة الاولى أنهما كانا يحلقان فوق البحر، الذي كانت مياهه تقترب منهم بسرعة رهيبة في تلك اللحظات، ليسمع (حازم) يصرخ به:

- لف جسدك وواجه المياه بذراعيك، وحاول الابتعاد عن موقع سقوط السيارة.

فعل (محمد) هذا بصعوبة، بعكس (حازم)، الذي ساعدته لياقته وتدريباته في أداء المطلوب بسهولة، وهما ينظران إلى السيارة التي تلحقهما في السقوط، قبل ان يخترق الاثنان الماء بقوة، ويشعر (محمد) بجسده يكاد ينسحق مع قوة الارتطام بالمياه الباردة، قبل أن يشعر بالسيارة وهي ترتطم بالمياه بدورها، ويجدها تتجه ناحية جسده بقوة، فيدور بجسده ليتجاوزها بصعوبة، وهو يكتم أنفاسه، قبل أن يحاول مقاومة المياه لإيقاف جسده عن السقوط، وينجح في هذا بعد عدة محاولات، فيحاول الصعود سريعًا، وهو يشعر بصدره يكاد ينطبق، وبالهواء ينفذ من رئتيه، بينما يبدو السطح بعيدًا جدًا..

حاول المقاومة أكثر، وهو يدفع جسده دفعا للأعلى، ولكنه لم يستطع، حيث شعر بالاختناق، وبدأت رئتيه تصرخان طلبًا للهواء، ففتح فمه في شهقة كبيرة، لتندفع المياه إلى فمه ورئتيه، ويسود الظلام..

***

تسلل شبحان متشحان بالسواد إلى داخل إحدى الشقق بإحدى بنايات مكة الشاهقة، بعد معالجة أحدهما لقفل بابها بمهارة، قبل أن يغلقاه خلفهما ليقول أحدهما للآخر:

- رائع يا (ثروت)، يداك تلتفان في الحرير يا صديقي.

انتفخت اوداج (ثروت) زهوا، وهو يقول رافعًا يديه في فخر:

- وأين يذهب هذا الباب الحقير في جميع الأبواب التي قمت بفتحها يا صديقي، هل يكون أصعب من بوابة زنزانتي في سجن ال...

قاطعه (عشري) متهكمًا:

- كف عن الزهو أيها المتفاخر، ولنلتفت لعملنا، لقد أمرنا هذا ال(تولا) بمهمة ويجب تنفيذها على الوجه الأمثل.

لم يعجب (ثروت) مقاطعة (عشري) له، ولكنه قال:

- حسنًا، هيا بنا..

- فلنبحث عن الجهاز لتدميره، ثم نغادر هذا المكان بسرعة.

قالها(عشري) بخشونة وهو يبدأ التحرك بالفعل تجاه حجرة جانبية و(ثروت) في إثره، وهناك أخذت عيونهم تدور في أرجاء الحجرة، قبل أن يهتف (ثروت) منتشيًا، وهو يشير بكفه نحو بقعة في الجدار:

- هناك!..

توقف (عشري) بدهشة وهو يقول:

- حقًا؟

قال (ثروت) وهو يتجه بثقة إلى أحد الحوائط:

- نعم يا صديقي، فالمصريون لا يتغيرون أبدًا، وغير مبتكرين بالمرة..

أتبع كلامه بإزاحة إحدى اللوحات من على الحائط ببساطة، لتبدو تلك الخزنة الالكترونية الحديثة من خلفها..

لم يستطع (عشري) منع انبهاره وهو يهتف:

- يااالك من شيطان يا (ثروت)، بهذه البساطة كشفت مكانها..

هز (ثروت) كتفيه بثقة قائلًا:

- ليس الأمر بهذه السهولة يا صديقي، لابد أن تكون لك مهاراتي وخبراتي وعيناي المدققة الملاحظة و...

قاطعه (عشري) بخشونة وقد عاد له حنقه:

- هل سنقضي ليلتنا في التفاخر إذن، أم ستحاول استخدام خبراتك هذه في محاولة فتح تلك الخزنة الحديثة؟

نطق جملته الأخيرة بسخرية واضحة لم تخفى على أذني (ثروت)، الذي ضايقه أيضًا مقاطعة (عشري) لوصلة تفاخره للمرة الثانية، فيقول بضيق:

- سترى كيف أفتحها في أقل من ثلاث دقائق..

وهكذا وبعد دقيقتين ونصف انفتحت الخزانة الإلكترونية الحديثة أمام عيني (عشري) المندهشتين من براعة (ثروت) الذي انتفخ كالطاووس وهو يقول:

- لما هذا الانبهار، أنا أفتح الخزن من قبل أن أتعلم السير يا زميلي العزيز.

كان (عشري) يعلم أن (ثروت) يبالغ بالطبع، ولكنه لم يخفي انبهاره وهو يقول:

- يااالك من شيطان بارع..

ثم استدرك سريعا، قبل أن يسمح ل(ثروت) بمزيد من التفاخر:

- والآن ماذا لدينا ياترى بهذه الخزنة الحصينة؟

مد (ثروت) يده مخرجًا جهازًا أسطوانيًا محدودًا به عدة بقع تضيء وتنطفئ بإيقاع رتيب، يتصل عبر عمود معدني فضي اللون بما يشبه الالة الحاسبة بشاشة زرقاء أخذت الارقام تتغير فوقها كل ثانية في إيقاع مثير!

أخذا في دهشة يحدقان في الجهاز الصغير، حتى قال (ثروت) في حنق:

- هل تكبدنا كل هذه المشقة لتدمير هذه الآلة الحاسبة!

ابتسم (عشري) ثم قال متهكمًا:

- آلة حاسبة... بالرغم من براعتك في فتح الخزن الموصدة يا (ثروت) لكنك لن تضاهي براعتي في معرفة الأجهزة الإلكترونية، فلقد عملت في سرقتها وبيعها لسنوات.

نظر له (ثروت) بوجه مُحتقن، وقال وهو يشير إلى الجهاز:

- هكذا، إذن قل لي أيها الخبير ما هذا الجهاز بالضبط؟!

التقط (عشري) الجهاز بيده السليمة وأخذ يقلبه، قبل أن يقول في حيرة:

- لا أعرف.

ليقول (ثروت):

-لا يهم ماهو، المهم أن نذهب به ل(تولا) حتى ننال مكافئتنا

وهنا انطلقت ضحكاتهما الساخرة تلف أرجاء الحجرة، وهما في قمة سعادتهما، بعد أن أصبحا على بعد خطوة واحدة من اكتمال تحقيق هدفهما الذي جاءا من أجله، ولم يتبق غير تسليم الجهاز لسيدهما (تولا).

***

تقدم (لوما) قواته محاصرين ذلك الموقع الجبلي في مكان ما، بإحدى البقاع في مركز الارض، المستقر به مخبأ (تولا) السري الثاني، والذي استطاع العلماء تحديد موقعه عن طريق تتبع موجات الاتصال الصادرة والواردة منه..

أشار (لوما) إشارات صامتة لفريقه بمحاصرة المدخل الوحيد للمكان، والانتشار المدروس لمنع أية محاولة للمقاومة أو الهرب من (تولا)، قبل أن يشير لمجموعة أخرى من أفضل رجاله لمصاحبته لاقتحام الوكر..

ولكنه لم يكن يعلم أن صورته وصورة قواته تظهر الآن على شاشة رصد في مقر (تولا) ويشاهدها هذا الأخير معقود الحاجبين في غضب وهو يقول:

- هل تظن أيها ال(لوما) أن بمقدورك هزيمتي بهذه القوات التافهة؟ حقا أنت واهم، وستلاقي مفاجأة حياتك، مفاجأتك الأخيرة.

وضغط عدة أزرار بجهاز ما بجانبه..

لينفتح الجحيم على مصراعيه!

***

(استيقظ يا (محمد).. استيقظ يا صديقي..)

تسللت تلك الكلمات إلى أذني (محمد) بصوت (حازم) وهو يشعر بصدره يضيق بالماء فيسعل بشدة مخرجا الماء من فمه ليهتف (حازم):

- حمدا لله..

استغرق الأمر عشرة دقائق حتى استعاد (محمد) توازنه، فيدير عينيه مرهقا فيما حوله، ليكتشف أنه راقد على سطح خشبي لأحد مراكب الصيد، وبجواره (حازم) الذي قال له:

- حمدا لله على سلامتك.. لقد ظننت أني قد خسرتك.

يعتدل (محمد) بصعوبة بمساعدة (حازم) وهو يقول:

- ما الذي حدث؟

(حازم):

- لقد كدت تغرق يا صديقي، لم يساعدك جسدك الضعيف على مقاومة ضغط الماء، مع حبس أنفاسك لفترة طويلة، ولولا وجودي بجوارك واستطاعتي رفع جسدك لسطح الماء سريعًا مع تصادف مرور مركب الصيد هذه قريبا منا لربما كنا خسرنا نحن الاثنان حياتينا..

سمع (محمد) هنا صوتا يقول بلهجة سعودية:

- حمدا لله على سلامتكما يا أبنائي.

التفت ليجد الصياد صاحب المركب يقف أمامه، وهو يستدرك في حيرة:

- ولكن صديقك لم يجبني، كيف أتيتما إلى هنا في وسط البحر، لو كنتما في مركب فأين هي، لم أر أي مركب قبل ظهوركما الغامض في المياه أمامي، وإن سمعت صوت ارتطام شديد في الماء قبلها، هل سقطتما من طائرة؟

تبادل الاثنان النظرات، قبل ان يقول (حازم):

- لا يهم هذا يا سيدي، المهم أن تعود بنا إلى البر في أسرع وقت ممكن.

وكان هذا بالفعل هو المهم..

أن يعودا للبر في اسرع وقت..

أو بمعنى أدق.. في الوقت المناسب..

***

خرج (عشري) و(ثروت) بسرعة من شقة (محمد) واتجها نحو سيارتهما و(ثروت) يقول:

- ترقب مكافأة ضخمة من هذا ال(تولا) نظير قيامنا بهذه المهمة على النحو الصحيح يا صديقي.

يجيبه (عشري) بلهفة:

- أول ما سأفعله بالمكافأة هو تركيب كف صناعي من الذهب الخالص، لا بل خطاف صناعي أعاقب به أعدائي ويصبح علامة مميزة لي و..

- توقفا عندكما.

صدر الصوت بغتة من نهاية الشارع مع انبعاث أضواء سيارات الشرطة وارتفاع صافراتها المميزة!

التفت الاثنان بحدة لمصدر الصوت، ليتراجعا في صدمة غاضبة.

كانت نهاية الشارع مغلقة بقوات الشرطة التي تقدمها الضابط (نواف) شاهرًا مسدسه، وناطقا الجملة السابقة..

والحق يقال أن (ثروت) و(عشري) قد أثبتا براعة هائلة وسرعة رد فعل كبيرة وهما يتغلبان على صدمتهما سريعا ويستلان اسلحتهما المتطورة التي أمدهما بها (تولا) ويمطران من فورهما القوات المحاصرة لهما بمزيج من القذائف والأشعة المدمرة..

انقلبت المفاجأة على رجال الشرطة المساكين، الذين فوجئوا بسياراتهم تنفجر وتذوب، ورأوا أشلاء زملائهم تتطاير وجثثهم تبدأ بافتراش الميدان..

احتمى (نواف) بجذع إحدى الاشجار، ناظرا بهلع إلى ما أصاب جنوده متسائلًا أية أسلحة هذه التي يستخدمها هذان المجرمان..

كان قد قرر معاينة منزل المهندس (محمد) ربما يجد هناك ما يمكنه من كشف ملابسات انفجار المصنع، عندما فوجئ بهذين اللصان يخرجان من البرج ليستقلا السيارة، وتعرف من أوصافهما التي أدلى بها شاهد المصنع عليهما وعلم أنهما هما الذان كانا وراء الحادث.

حاول المشاركة في القتال بإطلاق رصاصات مسدسه تجاه (عشري) ورفيقه ولكنهما كانا يحتميان بسيارتهما، فلا تصيبهما الطلقات، ولكن طلقاتهما كانت تفجر وتدمر أي شيء تلمسه!

وهكذا وفي خلال خمس دقائق كان الصراع قد انتهى بسقوط جميع رجال الشرطة ما بين قتيل وجريح ما عدا (نواف) المحتمي بجذع الشجرة..

لم يلمح (ثروت) و(عشري) (نواف) وهما يهرعان إلى سيارتهما لاستقلالها، ولكن هذا الأخير قفز من موضعه صارخا: - لن تهربا بأفعالكما أيها المجرمان..

التفت (ثروت) مسرعًا ناحيته مطلقًا حزمة أشعة من سلاحه بدون أية كلمة زائدة، ولحسن حظ (نواف) مرقت الأشعة بجوار رأسه، قبل أن تواصل طريقها وتنفجر في احدى السيارات، ليطيح الانفجار به بعيدًا، ويسقط منه سلاحه، فيبتسم (ثروت) بوحشية، وهو يرفع سلاحه مصوبًا فوهته إلى رأس (نواف) مباشرة!

عندها أيقن (نواف) من هلاكه المحتوم هذه المرة، ولكنه وفي غمرة يأسه تذكر ذلك الشيء الذي وجده في موقع الحادث..

كان هذا الشيء عبارة عن كرة فضية صغيرة مرنة ذات فوهة واسعة لم يرى مثلها من قبل، وقد بدت له اشبه بسلاح ما..

وكان قد وضعها في جيبه..

وهنا قرر أن يجربها..

وهكذا تدحرج جانبا بحركة سريعة متجنبًا الأشعة المتفجرة، التي انفجرت في الارض من خلفه لتطيح به مرة أخرى ليسقط أرضًا ودوار عنيف يكتنف رأسه...

ولكنه وبالرغم من هذا أخرج ذلك السلاح، ووجه فوهته ناحية مهاجميه، وضغط جانبي الكرة لتنطلق صاعقة فجرت سيارتهما، وأطاحت بهما يمينًا ويسارًا، وألقتهما أرضًا في عنف..

سقط السلاح من يد (نواف) وسقط هو نفسه بدوره أرضًا، وهو يلهث في عنف محاولا مقاومة الدوار العنيف، وهو يلمح خصميه يقفان بصعوبة، ويتبادلان النظرات في دهشة، قبل أن يرفع (ثروت) سلاحه مرة أخرى في غضب تجاهه، وبدا ل(نواف) أنه لا أمل هذه المرة في النجاة..

ولكن شعاعًا أزرق أصاب سلاح (ثروت) في اللحظة الأخيرة، ليطيح به بعيدًا، في نفس لحظة ظهور (حازم) و(محمد) من نهاية الشارع الخلفي، والأول يهتف حاملا سلاحه المتطور:

- توقفا أيها اللعينان..

بنظرة كراهية كست ملامح وجهه المحتقن، حدق(عشري) في (حازم) الذي يهاجمهما قادمًا من نهاية الشارع، ومن الناحية الاخرى كان (نواف) قد استعاد توازنه، ووقف مرة اخرى مستعيدًا سلاحه ومصوبًا له ناحيتهما، ليفكر

(ثروت) سريعا، ثم يتجه ناحية (عشري) ويحتضنه، ضاغطا في نفس الوقت زرا في جهاز خاص يطوق معصمه، ليختفي الاثنان دفعة واحدة من المكان مع فرقعة ضوئية عالية..

تسمر (نواف) مذهولًا وهو يرى ما حدث، ليتجه ناحيته (محمد) و(حازم) وهما يديران أعينهما في الدمار الذي احاط بالمكان والاخير يهتف:

- رباه، أية مذبحة حدثت هنا؟!..

أدار (نواف) عينيه إليهما وهو يقول:

- من أنتما ايضا، وماذا يحدث هنا بالضبط؟!

هم (حازم) بالرد عليه، ولكن (محمد) قال بجزع:

- رباه، الجهاز، ستكون كارثة لو كانا قد حصلا عليه..

تبادل الجميع للحظة نظرات صامتة، قبل أن يبادر (محمد) بقطع حبل الجمود، وينطلق مسرعًا ناحية منزله و(حازم) في إثره، ويلحق بهم (نواف) وهو يتساءل في سره: ما هذا الجنون الذي يحدث هنا..

ولكنهم وقبل أن يصلوا إلى المبنى بخطوات، انفجر الطابق الذي يحتوى على شقة (محمد) بدوي هائل جعل (محمد) يطلق شهقة قوية، ويتوقف بغتة، وهو يرى الزجاج يتناثر من نوافذ شقته المحطمة، وفي أعقابه ألسنة النيران وهي تخرج منها وتطال عنان السماء..

يتبادل الجميع النظرات المفعمة بالهلع، وقد بدا أن هذه الجولة، قد توجت بانتصار (تولا) وزبانيته..

انتصارا ساحقًا..

***

الفصل الحادي عشر

(لا أظنك تنجو من براثن هذا الفخ المحكم أيها الداهية).

غمغم (لوما) بهذه العبارة وهو يقترب حثيثًا على رأس قواته المنتشرة في جميع أركان وكر (تولا) السري، كان يعتقد أنه قد أحكم سيطرته على (تولا) تمامًا، دون أن يترك له أية فرصة للفرار من قبضته هذه المرة، ولكنه لشدة دهشته فوجئ بالانفجارات العنيفة تدوي بقوة حول الوكر، لتطيح بأفراد قواته واحدًا تلو الآخر، واكبتها صرخات الآلام والعذاب تلهب حناجر المصابين بإصابات فادحة، فأيقن في قرارة نفسه أن القضاء على خصمه لن يكون بالسهولة التي يتصورها، فأسرع برفع عقيرته بصياح صارم حاد كحد الحسام:

- فليتخذ كل واحدًا منكم ساترًا يا رجال حفاظًا على حياتكم، وكونوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ أوامري بحذافيرها.

تزامن قوله لهذه العبارة، مع توقف دوي الانفجارات تمامًا، مع أزيز صدر من جهاز خاص في جعبته، فالتقطه على الفور، وأخذ يحدق في شاشته، وحاجباه ينعقدان في شدة، جعله يتمتم في دهشة:

- عجبًا! ترى من هذان الغامضان اللذان انضما اليك في مخبأك أيها الوغد؟!

ضاقت حدقتاه بقوة، ونمت على شفتيه شبح ابتسامة ساخرة، سرعان ما اتسعت لتشمل صفحة وجهه الذي أشرق بعلامات الاستهزاء، التي برهنت على معرفته بدقة هوية الرفيقان المنضمان لغريمه(تولا)، فغمغم متهكمًا وهو يضرب قبضته في باطن كفه:

- يالها من ضربة حظ موفقة، تلك التي أوقعت البيض كله في سلة واحدة، مما يسهل القضاء عليكم جميعا بضربة واحدة.

- (عشري) و(ثروت).. ما الذي جاء بكما في هذا التوقيت اللعين أيها الغبيان؟!

قالها (تولا) بعصبيه مفرطة، وقد فوجئ بظهور خادميه في داخل الوكر السري، أثناء انشغاله بضغط زر إطلاق بقية القنابل التي وضعها بدقة مدروسة حول مخبأه، وبالرغم من قسمات وجهه المتجهمة، وعينيه التان تقدحان شررًا، إلا أن (عشري) واتته الشجاعة لكي يجابهه وهو يهتف منفعلًا:

- جئناك بالبشرى يا زعيم الأرض المقبل.

هم (تولا) بسؤاله عن مقصده ولكنه انتبه مع دوي انفجار عنيف بلغ مسامعه، فهتف في عصبية:

- قل لي تفاصيل بشراك فيما بعد، فلابد أولًا من دحض الهجوم على الحصن.

قال عبارته وعقله الجهنمي يشرع في رسم خطة محكمة تمكنه من النجاة بحياته برفقة خادميه الوفيين، وفي تلك الاثناء كان (لوما) يحث رجاله على الإسراع بوضع متفجرات شديدة التدمير على إحدى النقاط في جدار الوكر السري التي يظنها ضعيفة التحصين، ويمكنه النفاذ منها إلى خصمه، ليضع حدًا لهذا الصراع الرهيب بينهما، وبينما هو كذلك إذ تناهى إلى مسامعه صوت ارتجاج خفيف، فالتفت برأسه ووجه ناظريه جانبًا، فرأى على مرمى بصره ما جعله يضغط بقوة على أسنانه حتى كادت أن تتفتت!

كان جدار المخبأ السري ينشق، كاشفًا عن مركبة (تولا) الخاصة، كانت مركبة سوداء قوية اندفعت إلى خارج المخبأ بسرعة كبيرة، مثيرة خلفها عاصفة من الغبار الكثيف، وبالرغم من سرعة انطلاق المركبة إلا أن (لوما) لاحظ ببصره الثاقب الحاد، ركابها الثلاثة ومن بينهم القائد المنشق (تولا)، وعلى الفور هتف (لوما) بقواته في غيظ مكبوت:

– هيا انسفوا هذه السيارة نسفًا يا رجال.

وبسرعة البرق وضع جيشه الصغير هذا الأمر موضع التنفيذ بالفعل، وهم يستقلون مركباتهم المكشوفة وينطلقون بها شاهرين أسلحتهم الفتاكة، ويوجهون الفوهات القاتلة صوب المركبة المسرعة في اطراد، لتنهمر عليها كالسيل عشرات من حزم الأشعة المدمرة بمنتهى العنف، وهي مستمرة في انطلاقها السريع، وبدت المركبة المصفحة تقاوم شدة الضربات المتلاحقة،

حتى أن (لوما) أقسم في قرارة نفسه أنه سمع قهقهة (تولا) تبلغ مسامعه بوضوح، وهو يهتف به في ظفر:

- ها أنا ذا (تولا) المغوار أهرب بعيدًا رغمًا عن أنفك، أيها الفاشل.

هز(لوما) رأسه محاولًا نفض عنها ما وقر فيها من تهيؤات سوداوية مُحبطة، في نفس اللحظة التي توهجت فيها المركبة السوداء، وحزم الأشعة الساحقة تلاحقها في استماتة وتغمر كل نقطة على سطحها، حتى بدت مثل شمس صغرى تمضي فوق الارض الصحراوية، مما أدى إلى انحرافها عن مسارها، ومع هذا الانحراف اندفعت المركبة نحو صخرة كبيرة ليرتطم بها جانب المركبة في قوة، فارتفعت على نحو مخيف، ثم انقلبت على جانبها وراحت تزحف على الرمال طويلًا، في هذا الوضع، قبل أن تنقلب رأسًا على عقب، وتتوقف وسط سحابة مخيفة من الغبار، ومع تركيز حزم الأشعة على خزان الطاقة الذي ظهر جليًا في باطن المركبة المقلوبة، مما أدى إلى انفجارها بدوى هائل بلغ عنان السماء، مع عاصفة من الغبار والرمال، ثم لم تلبث أن هدأت العاصفة، ليخيم على الصحراء صمت رهيب مهيب، مع توقف الجيش الصغير عن إطلاق أشعته، وتسمر أفراده داخل مركباتهم وعلى وجوههم علامات النصر الكاسح، وهم يشاهدون بأم أعينهم اندلاع النيران في مركبة (تولا) الخاصة، معلنة القضاء نهائيا عليه وعلى أعوانه بلا رحمة.

***

" للأسف الشديد لم يترك الانفجار أي أثر للجهاز يا حازم"

هتف (محمد) بهذه العبارة، وملامح وجهه تنضح بالأسى، وهو يجلس في ردهة شقة الرائد (حازم) التي استأجرها الأخير في أطراف مدينة (مكة)، قبل أن يدير بصره نحو (حازم)، الذي غمغم هو الآخر في حنق شديد:

- هذا يعنى باختصار أننا فشلنا في الحفاظ على الأمل الأخير، الذي يمكننا من إفشال مخطط السيطرة على الأرض و..

قاطعه (نواف) في تساؤل حائر:

- ما هذه الترهات السخيفة التي تفوهت بها حالا أيها المصري، ألم تذهب تلك الأفكار الخرافية بأحلام الزعامة أدراج الرياح، برحيل دكتاتوريي أوروبا في القرن العشرين، (هتلر) ديكتاتور (ألمانيا) النازية، وحليفه(موسوليني) رئيس وزراء(إيطاليا) و(لينين) و(ستالين) إبان (الاتحاد السوفيتي) الشيوعي؟

ثم عقد ساعديه أمام صدره، وهو يهتف في جدية:

- بما أننا أشقاء في العروبة، ولكونك رجل أمن مصري، كما تقول هويتك يا سيد (حازم)، أريد منك تفسيرًا لكل ما حدث، حتى يهدأ عقلي المشتعل ولا يذوب تحت وطأة التفكير المضنى فيما عاصرت من أحداث غير مفهومة، منذ ذهابي للتحقيق في انفجار مصنع الاليكترونيات هذا الصباح.

التقط الرائد (حازم) شهيقًا واسعًا سرعان ما زفره في حرارة شديدة، ثم حاول أن يرسم على وجهه ابتسامة هادئة،وهو يتمتم في جدية:

- حسنًا هيا أعرني سمعك، لكي أخبرك بكل ما تود معرفته يا سيد (نواف).

- كلي آذان صاغية يا سيد (حازم).

قالها قائد الأمن السعودي (نواف) بينما راح الرائد (حازم) بكلمات مقتضبة يشرح ملابسات وأبعاد الموقف الصعب الذي هم بصدده، والأخير ينفعل أيما انفعال، ويبدو ذلك واضحًا بجلاء على قسمات وجهه الوقور، الذي لم يحاول إخفاء اضطرابه لما يبلغ مسامعه، مع كل معلومة يخبره بها الأول، و الذي ما إن فرغ من حديثه، حتى ران الصمت على رؤوس الجميع!

صمت قاس بطعم مرارة الهزيمة..

والفشل الذريع!

***

راح أفراد جيش (لوما) الصغير يرفعون عقيرتهم بهتافات النصر المبين، التي رددتها الحناجر المنتشية بالفوز، آخذين في تهنئة بعضهم البعض، لنجاحهم في الخلاص من المنشق (تولا) وأعوانه الأرضيين..

ومن بين صفوف جيشه الصغير، انسل القائد (لوما) المظفر خارجًا، وهو يتمتم في نشوة:

- فلتسقط إلى أغوار الجحيم أيها ال(تولا) أنت وأحلامك المجنونة.

سار بخطوات واسعة حتى وصل إلى مشارف انفجار المركبة السوداء بمن فيها، ومن هناك دق ناقوس القلق في جوانحه، فصار له رأي آخر مختلف تمامًا، عما يعتقده أفراد جيشه الصغير، اللذين جاءوا في إثره مهللين ومحتفلين بانتصارهم، وقائدهم من أمامهم قد بدر في ذهنه كالبرق فكرة عجيبة، أدرك من خلالها أن فيما حدث خدعة متقنة، تم تنفيذها بمهارة فائقة، ليسقط فيها كالغر الساذج..

وعندما وقر في نفسه إمكانية حدوث تلك الفكرة، ضاقت حدقتاه وهو ينحني بجذعه ليستكشف ما حدث، وعلى حدود مكان الانفجار أخذ ينبش بأصابعه في الأرض المحترقة، وظل على هذا الوضع لبرهة من الوقت، قبل أن يعتدل واقفًا، وهو يهتف في حنق:

- سحقًا لك أيها الداهية (تولا).

- ماذا حدث جعلك تتعصب هكذا يا سيدي؟!

قالها مساعده (كولا) وهو يقف من خلفه وقفة عسكرية في اعتداد، فما كان من(لوما) إلا أن أجابه في غضب أعمى:

- هذا الحقير الماكر (تولا) لقد خدعنا جميعًا، بصورة هولوجرامية زائفة لمركبته السوداء مع إضافة جميع المؤثرات الحية، حتى يبدو الأمر وكأنه انفجار حقيقي.

هتف (كولا) في ذهول:

- يا لها من خدعة متقنة بحق، انطلت علينا جميعا.

في تلك الأثناء كان معظم أفراد الجيش الصغير يلتفون حول قائدهم، يستطلعون نتائج انفجار المركبة السوداء، عندما بلغت أسماعهم أصوات الأشعة الساحقة التي راحت تحصد الفئة القليلة الباقية لحراسة المخبأ، تزامن ذلك مع دوي الانفجارات المتوالية، التي أطاحت بمركباتهم العسكرية الخاصة، التي أخذت النيران تنشب فيها بسرعة شديدة!

وهنا أشار (لوما) بسبابته ناحية وكر (تولا) السري وهتف في جزع قائلًا:

- لماذا تركتم المخبأ دون حراسة كافية أيها الحمقى؟!

التقط سلاحه وهو يسرع الخطى باتجاه الوكر ويردف في صرامة:

- هيا أيها الجنود اسرعوا لنجدة رفاقكم، وصد عنهم هجوم هذا المرتد اللعين (تولا).

كانت المسافة بين أفراد قوات (لوما) والمخبأ السري بعيدة بعض الشيء، ولا تسمح لهم بإطلاق الأشعة نحو (تولا) وخادميه اللذين أخذوا يطلقون حزم الأشعة المدمرة، على بضعة أفراد من قوات الحراسة حتى نجحوا في إبادتهم جميعًا عن بكرة أبيهم، ثم سرعان ما استقلوا مركبة (تولا) المتطورة للفرار بها بعيدًا عن المكان!

تابع القائد (لوما) ما يحدث عن كثب، ولأنه يعلم أن المسافة الناشئة بينه وبين خصمه واسعة، وحتى لو حاول أن يقطعها عدوًا، لن يستطيع الوصول إليه

في الوقت المناسب قبل أن يلوذ بالفرار، وعندها قد يضيع أثره هذه المرة إلى الابد!

وهنا هتف في غيظ مكبوت:

- سحقًا لك أيها الوغد، على جثتي! هيهات أن تفر من قبضتي هذه المرة أيضًا!

قالها وهو يضغط بلا تردد على زر خاص في حزام طيران يطوق خصره، فانبعثت من أسفل الحزام نفاثات محدودة، جعلته ينطلق طائرًا من فوره، وما هي الا ثوان معدودة، حتى وصل إلى المخبأ في نفس اللحظة التي كان يهم فيها (تولا) وخادماه الانطلاق بالمركبة، التي سرعان ما جاء في نطاقها وهو يحلق فوقها على ارتفاع منخفض نسبيًا، فنظر إلى الأسفل، وغمغم في نبرة تقطر حزنًا:

- من أي قلب قُد قلبك الصلد أيها المتعجرف اللعين، وجعلك تقوم بهذه المذبحة البشعة في أفراد بني جنسك.

قالها وهو يشعر بقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبه اعتصارًا، وعلى الفور أشهر سلاحه الخاص وأخذ يمطر المركبة بحزمة من أشعة سلاحه، ليسمع من أثر أشعته دوي مميز، جعله يهتف في بغض حارق:

- نعم هذا هو صوت الرنين الحقيقي للأشعة أيها المخادع، وليس ما أوهمتنا بحدوثه.

كان يعلم يقينًا أنه لن يستطيع بمفرده النيل من (تولا) وخادميه، وهم في هذه الحالة يحتمون داخل المركبة الحصينة، ولكنه حاول إزجاء الوقت لكي يسمح لأفراد قواته الباقين بالعودة للمشاركة ويتحدوا في الحرب على عدوهم..

وهذا ما دار في عقل (تولا) ايضًا لذا أخذ سريعًا يفكر في مخرج من هذا المأزق، حينها وقعت في ذهنه فكرة ما، وضعها بسرعة موضع التنفيذ وهو يخرج من جيبه جهاز الإخفاء الخاص به، وأشار لخادميه لإعطائه أجهزتهم المماثلة، وبالفعل امتثلا لأمره، ولأنه يعرف أن المركبة المصفحة تمنع عمل أجهزة الإخفاء، التي لابد لها من فراغ تام كي تعمل دون معوقات!

لذا قام بضبط توقيت أجهزة الاخفاء الثلاثة بعد ثوان معدودة، ومن ثم قام بتثبيتها علي سطح المركبة الداخلي، وهو يهتف في خيلاء:

- فلنرى كيف تعوق عمليه الهروب هذه المرة أيها القائد المغرور.

قالها ودوي أشعة (لوما) يلاحق المركبة الفولاذية دون جدوي، أو حتى يصيبها بخدش واحد، وعندها قام (تولا) بضغط أزرار خاصة في واجهة المركبة لتقوم من فورها بعملية الدوران الآلي حول محورها، وبالفعل راحت سرعة دوران المركبة تمضى في تصاعد رهيب، من شدته تقيأ (ثروت) و(عشري) ما في جوفيهما، لعدم اعتيادهما على هذه السرعات العجيبة، التي كانت من شدتها أن جعلت المركبة تبدوا للناظرين اليها عن كثب وكأنها نحلة دوارة!

ومن شدة دوران المركبة نشأ حولها مجال مغناطيسي رهيب، وجعلها مثل الدوامة تجذب أي شيء في مجالها، ولسوء حظ (لوما) كان جسده في مجال المركبة، حاول بسرعة أن يتفادى ذلك وينطلق بجسده بعيدًا، ولكن سرعته لم تكن بالسرعة المطلوبة للنجاة، فنجحت المركبة أن تجذبه نحوها جذبًا إلى مجالها، حاول مقاومة الجذب الرهيب، أشعل جهازه المضاد للجاذبية، وبدأ في الابتعاد بالفعل عن مجال جذب المركبة، ولكنه لمح جهاز (تولا) لفتح ثغرة في الأبعاد يستقر بداخل المركبة عن طريق منظاره الذي يرتديه ويجعله يرى ما بداخلها، فكر سريعًا، كان يستطيع الهرب بسهولة، وكان أيضا يستطيع تدمير الجهاز، ولكن قوة جهازه المضاد للجاذبية محدودة أمام قوة الجذب الرهيبة ولن يصمد حتى يدمر الجهاز..

ولم يفكر كثيرا..

حيث وبآخر ما لديه من قوة أخرج من رداءه سلاحا إشعاعيا قام بتصويبه بكل ما لديه من دقة ومهارة بالرغم من قوة الجذب الرهيبة على الجهاز وأطلق دفقة إشعاعية صائبة أذابت الجهاز في موضعه..

انطلقت صيحة (تولا) الغاضبة الملتاعة على جهازه المدمر ليذهب صداها مع صوت ارتطام جسد (لوما) العنيف بسطح المركبة الدوارة، بعد فشل جهازه في إبعاده والصمود أكثر من ذلك، لتشفط المركبة جسده بلا رحمة، ولم تتركه إلا وقد سحقته سحقًا، لتتطاير أشلاؤه في أرجاء المكان تذروها الرياح بلا

هوادة.. واكب ذلك أن سطع ضوء خاطف من المركبة قبل أن يعمل مؤقت أجهزة الإخفاء، لتختفي المركبة في هذه الاثناء بركابها عن الأنظار تمامًا، تاركة خلفها أثرًا بعد عين، كان يحمل سابقًا اسم (لوما) الراحل بأبشع طريقة، بعد أن ضحى بحياته لتدمير جهاز (تولا).

ولتنتهي هذه الجولة بالتعادل.

***

الفصل الثاني عشر

(لا فائدة.. لا يوجد رد..)

نطق بها (حازم) بحنق بعد فشل محاولته العاشرة للاتصال بالقائد (لوما)، ليقول له (نواف):

- هل أنت متأكد من أن هذا الجهاز العجيب الذي تحمله يعمل؟!

أجابه حازم مشيرا لجهازه:

- هذا جهاز اتصال متطور أمدني به القائد (لوما)، ونعم أنا متأكد من أنه يعمل واستخدمته من قبل، وإن كان (لوما) قد أخبرني ألا أتصل به عن طريقه إلا للضرورة القصوى.

يقول (محمد) متسائلًا بقلق:

- ولكن ما الذي قد يدفعه إلى عدم الرد؟!

أجابه (حازم) بنفس الشعور:

- لست أدري يا (محمد)، أخشى أن يكون قد أصابه مكروه ما.

يقول (نواف) بعصبية:

- سواءً قام هذا ال(لوما) بالرد أم لا، لابد أن نفكر جميعًا في حل لموقفنا هذا، أنا حتى لست أدري كيف وافقت على التعاون معكم بدون إبلاغ السلطات؟!

عاود (حازم) محاولاته للاتصال وهو يجيبه بتساؤل مختلف:

- وهل تتوقع أن يصدقوك إذا أخبرتهم بحقيقة ما حدث؟!

هرش (نواف) في رأسه قائلا:

- طبعًا لن يصدقوا ولا كلمة، إذا كنت أنا نفسي لا أصدق ما حدث حتى الآن، لولا ما رأيته بنفسي.

ثم نهض واقفًا، وهو يقول في جدية:

- ولكن بالرغم من هذا لابد أن يذهب معي المهندس (محمد) لسماع أقواله فيما حدث.

قال (محمد) بقلق:

- ولكن ماذا أقول في التحقيق؟

(حازم):

- قل لهم إنك لا تعلم من يطاردك، ولماذا؟! ولابد أن تصر على أقوالك، لأنك إذا نطقت بالحقيقة سيتهمونك بالجنون حتمًا.

قال (محمد) وهو ينهض بدوره:

- حسنًا، سأفعل هذا.

اتجه برفقة (نواف) للخروج من شقة (حازم)، وعلى عتبة الباب توقف (نواف) واستدار يقول:

- من الأفضل لك سيد (حازم) أن تختفي قليلًا، وسنعاود الاتصال بك على هاتفك فور انتهاء التحقيق و...

قاطعه صوت أزيز حاد صدر من جهاز الاتصال بيد (حازم) الذي هتف:

- أخيرًا!

توقف (محمد) والتفت إليه بلهفة، وهو يقول مقربًا الجهاز من فمه: - أيها القائد (لوما)، هل تسمعنى؟!

أتت عبارة بنبرة معدنية من الجهاز وبلغة عربية فصحى تقول: - نأسف لك يا سيد (حازم)، لقد لقي القائد (لوما) مصرعه في مواجهته الأخيرة مع المتمرد (تولا) أثناء مهاجمة وكره في أرضكم، في (مصر)!

وكانت مفاجأة أخرى هوت على رؤوسهم كالصاعقة!

لتكون أعنف من جميع المفاجآت التي واجهها ثلاثتهم منذ بدء هذه الاحداث..

***

وقف (تولا) كمرجل يغلي ويزبد في وكره الجديد، مواجهًا (ثروت) و(عشري) صارخًا:

- لقد أفسد هذا الحقير (لوما) خطتي بأكملها، لقد دمر أحلامي وطموحاتي، حتى وهو يموت هزمني، لقد ضاع كل شيء.. ضاع كل شيء.

تبادل (ثروت) و(عشري) النظرات في غير فهم قبل أن يتنحنح الأول قائلًا:

- عذرًا يا سيدي، ولكننا لا نفهم مقصدك.

صرخ (تولا):

- ولن تفهما أبدًا.... لقد انتهت مهمتكما هنا..

واتبع كلماته برفع يده بسلاح ما تجاههما وهو يصرخ بجنون: - هيا استعدا للموت الآن.

تراجع الاثنان و(عشري) يصرخ:

- مهلا سيدي، ألن ترى ما أحضرناه لك أولًا؟!

نجحت كلمته في إصابة هدفها لينخفض ذراع (تولا) وهو يسأل بعصبية:

- وماذا أحضرتما لي؟!

نزع (ثروت) حقيبة ظهره ليخرج منها جهاز المهندس (محمد) الشبيه بالآلة الحاسبة وهو يقول:

- ها هو الجهاز الذي كنت تريد منا تدميره، لقد خفنا أن نحاول تدميره فينفجر ويطيح بنا، فهذا جهاز لم يره (عشري) من قبل، ولقد حذرني من محاولة تدميره بدون علم، فقررنا إحضاره لك لتدمره كيفما تشاء، و...

قاطعته صرخة (تولا) وهو يصرخ بفرح هذه المرة متقدمًا ونازعًا الجهاز من يد (ثروت):

- حقًا، حقًا لم تدمراه، حقًا أحضرتماه.

تبادلا النظرات مرة اخرى ليقول (عشري):

- نعم تلكما البشرى التي كنا نريد اخبارك بها لحظة الهجوم على الوكر.
أخذ (تولا) يدور حول نفسه حاملًا الجهاز صارخًا:
- وأنا الذي كنت ظننت أنني قد هزمت، لقد ظن هؤلاء الأغبياء أنهم يستطيعون هزيمتي، حتى هذا الحقير (لوما) الذي ظن أنه ند لي، لم يكن يعلم من يواجه بالضبط.
وارتفع صوته صارخًا:
- فأنا أعظم القادة في الكون، بل في جميع الأكوان، سأصبح هكذا عما قريب.
تبادل (عشري) و(ثروت) نظرة متوترة وقد بدا لهما (تولا) كأشد جنونًا من أية لحظة رأياه فيها سابقًا، وهو يواصل:
- والآن بعد إزاحة (لوما) والحصول على هذا الجهاز أصبح باستطاعتي إحضار جيشي الذي استمريت سنوات طويلة في تجهيزه إلى هذه الأرض للسيطرة عليها تمهيدا للسيطرة على المزيد والمزيد.
ثم تطلع إلى (عشري) و(ثروت) قائلا:
- لا تخافا، فمكانكما محفوظ بجواري، أعترف أني في البداية لم أكن أثق بكما ولا بقدرتكما على تنفيذ هذه المهمة، ولكن يبدو أنني كنت مخطئًا، وهذا لا يحدث كثيرًا، ومن حسن الحظ أنه قد حدث هذه المرة.
ضحك بجنون مع كلمته الأخيرة، قبل أن بمسك بجهاز الابعاد وهو يتابع قائلًا بجنون مطبق:

- والآن فلتستعد الأرض لسيطرة جيش (تولا)..

ورغمًا عنهما ارتجف جسدا (عشري) و(ثروت) وهما يتساءلان عن مصير الأرض تحت رحمة وسيطرة مثل هذا المجنون.

***

جلس (حازم) في شقته المستأجرة بمكة، ممسكا برأسه، حزينًا صامتًا، وهو يفكر في خطوته التالية..

كان قد مرت عشر ساعات كاملة منذ ذهب (محمد) مع (نواف) للتحقيق في الأحداث الأخيرة، وقد اتصلا به منذ نصف ساعة وأخبراه أنهما في طريقهما إليه، وها هو الآن ينتظر وصولهما بين لحظة وأخرى..

تنهد تنهيدة عميقة، وهو يعتدل مطيحًا برأسه إلى الخلف، ناظرًا للسقف بغير رؤية..

لقد أثر به خبر رحيل القائد (لوما) أيما تأثير..

ربما لم يره غير مرة أو مرتين، ولكنه بجد احترمه وقدره ووثق به، أيضًا كان يعتمد عليه لاستشارته إذا تأزمت الامور، ولكن الآن أصبح بمفرده تمامًا..

خصوصًا بعد إخبار قادة (لوما) له بأنهم في إطار تجهيز شخص بديل لتولي المهمة بدلا من (لوما)، ولكن هذا قد يستغرق بعض الوقت..

قاطعه من تفكيره صوت طرقات هادئة على باب الشقة، لينهض بخطوات متثاقلة، ويفتح الباب ل(نواف) و(محمد)، اللذين دلفا على الفور، ولم يغفل

(نواف) أن يتطلع للخارج يمينًا ويسارًا أولًا، قبل إغلاق الباب للتأكد من عدم مراقبة أي أحدٍ لهم..

وبعد أن استقر بهم المجلس قال (محمد):

- لقد فعلت ما قلته بالضبط، ولقد طلبت مني جهات التحقيق عدم مغادرة البلاد، أو تغيير محل الإقامة على هذا العنوان إلى حين نهاية التحقيق.

وأكمل (نواف):

- الأحداث الأخيرة أشعلت البلاد، والعالم بأكمله يتساءل عن سر ما يحدث..

يقول (حازم) بشرود:

- ليس هذا هو المهم ولكن المهم هو ما قد يحدث بعد ذلك؟!

وكان هذا هو السؤال بالفعل..

ماذا قد يحدث بعد ذلك؟!

***

(اللعنة إنه لا يستجيب مطلقًا، سحقًا لهذه الأجهزة الأرضية)

هتف بها (تولا) بثورة شديدة، بعد فشله في التحكم في جهاز المهندس (محمد)، بعد محاولات مضنية لتشغيله حتى يساعده في فتح ثغرة في الابعاد، ليتنحنح (عشري) قائلًا، وهو يتحسس موطئ كلماته:

- عذرًا سيدي، هل لي برؤية هذا الجهاز؟!

رماه (تولا) بنظرة حارقة، وزمجر قائلًا بحنق:

- وهل تستطيع معرفة سر عدم استجابته!

ابتسم (عشري) مبينًا أسنانًا نخرة مريعة المنظر وهو يقول: - سيدي، أنا أعمل في سرقة وتهريب الالكترونيات منذ نعومة أظفاري، وربما أستطيع المساعدة.

فكر (تولا) قليلًا قبل أن يناوله الجهاز محنقًا، فيمسكه (عشري) مقلبًا له قليلًا ومحاولًا إطفاءه، قبل أن يرفع عينيه ل(تولا) قائلًا بثقة:

- هذا الجهاز لن يستجيب إلا ببصمة إصبع.

هتف (تولا) بذهول:

- ماذا، بصمة إصبع، بصمة إصبع من؟!

هز (عشري) كتفيه ببساطة قائلًا:

- بصمة إصبع صانعه بالطبع، لو كنت مكانه لما وضعت غير بصمتي، بالإضافة يبدو أنه لم يفصح عن سر هذا الجهاز لأحد قط.

كان (ثروت) يتابع الحديث صامتًا، ولكنه انتفض حينما قال (تولا) بخشونة:

- إذن ستعودان فورًا إلى السعودية.

(ثروت) بصدمة:

- ماذا؟!

بينما اهتزت ثقة (عشري) وهو يهمس:

- رباه، مرة أخرى؟!

صرخ فيهما (تولا):

- نعم، ستعودان، وهذه المرة لا تعودا بغير هذا المهندس.

واشتعلت عيناه حرفيًا ببريق أحمر أخاذ، وهو يكمل:

- أو بيديه على الأقل.

وارتجف جسدا (ثروت) و(عشري) مرة أخرى.

***

أثناء جلوس (نواف) والمهندس (محمد) في ردهة شقة الرائد (حازم) للحديث حول الاحداث الاخيرة، فجأة تكونت في قلب الفراغ صورة هولوجرامية جعلت (حازم) ينتفض من مكانه فزعًا، وهو يهتف مدهوشًا:

- ما هذا؟! ألا زلت حيًا أيها القائد (لوما)؟

جاوبه صوت رتيب صادر من الفراغ:

- بكل أسف يا سيد(حازم) القائد (لوما) قضى نحبه، وأما بالنسبة لي، فأنا توأمه (كالا)، القائد الجديد المسؤول عن ردع المنشق (تولا)، ولقد جئتك بأخبار في غاية الأهمية.

عاد (حازم) إلى مقعده وعلى وجهه علامات التأثر والحزن العميق، ليصمت الصوت الرتيب لحظة، قبل أن ينبعث مرة أخرى:

- لقد تلقينا إشارة أرضية، تفيد بأن جهاز المهندس(محمد) لايزال يعمل، ولم يتم تدميره في الانفجار كما تظنون، وأن جهاز (تولا) لخرق الابعاد، قد ضحى القائد (لوما) بحياته في سبيل تدميره.

هوت هذه المعلومات على رؤوس الجميع كالصدمة، وتبادلوا نظرات متوترة، قبل أن ينتزع المهندس(محمد) نفسه من صدمتها، ويهتف في شيء من القلق:

- هناك جانبان للعملة من هذه التصريحات، أحدهما أن جهاز هذا المعتوه الشرير قد تم تدميره، والجانب الآخر المقلق بحق، هو أن جهازي أصبح بحوزته.

صمت لحظة ابتلع خلالها لعابه، ليرطب به حلقه الجاف، قبل أن يستطرد شارحًا:

- فلقد اخترعت جهازي هذا لغرض تقوية شبكات الاتصالات، بتنقية فراغ الأرض وجعله صافيًا لإرسال واستقبال الشبكات اللاسلكية، وهذا بحجب التشويش الخارجي المنبعث من جميع الأبعاد، وبتعديل طفيف على نسخة الجهاز الحالية، يمكن عكس توجيهه، ليصبح بمقدوره فتح فجوة بين الأبعاد، تكفي لمرور جيش جرار، وتلك ستكون كارثة لو فطن إليها هذا الطاغية (تولا).

جاء وقت الصوت الرتيب ليعاود الحديث قائلًا:

- تلك معلومات حقيقية بالفعل، ولقد علمنا بإمكانية حدوث هذا التعديل لعكس عمل الجهاز، وبالتالي كما نعلم ذلك فبإمكان المتمرد (تولا) معرفة هذا الأمر بكل سهولة.

زاد القلق على وجه (محمد) قبل أن يقول:

- نظرًا لخطورة الجهاز الشديدة، في أن يقع يومًا تحت سطوة الأعداء، فيسيئوا استغلاله ضد البشرية، ويهددوا الأمن والسلم الدوليين، فقد صممته بحيث لا يعمل سوى ببصمة إبهامي وحدها.

هنا هب (حازم) واقفًا، وكأنه وجد بارقة أمل تعلق بها كالغريق الذي يتعلق بقشة وهو يهتف بحماس منقطع النظير:

- أحقا ما تقول يا (محمد)؟!

هز(محمد) رأسه إيجابًا، وهو يتمتم في ثقة مفرطة:

- من حسن الحظ يا صديقي أن بصمة إبهامي وحدها هي القادرة على تشغيل وتوقف الجهاز.

صمت لحظة ليلقط خلالها أنفاسه المتلاحقة، وحازم يهتف بنشوة:

- يالتصاريف القدر.

اتجه (حازم) إلى حيث يجلس المهندس(محمد) وأمسك كتفيه بقبضتيه، وهو يهتف في حماس:

- إذن فلا طريق أمام هذا الأحمق يسلكه، سوى أن يأتي إلى حيث مكان تواجدك يا صديقي العزيز.

ضاقت عينا (حازم) حتى بدت علامات الاصرار بادية على قسمات وجهه، وهو يردف في صرامة:

- وحينما يفعل ذلك، سنكون في انتظاره، لنوقعه في شباكنا، هو أو حتى مبعوثا الشر الخاصان به، لندحض أحلام الزعامة الواهية هذه.

جاء دور (نواف) للحديث، فقال:

- إذن عندي حل آخر، سنخفي المهندس (محمد)عن الأنظار تمامًا، حتى إذا أتوا من أجله لا يستطيعون العثور عليه أبدًا.

كان يظنها فكرة عبقرية ولكن فاجأه (حازم) بقوله:

- إلى متى؟!

بدا أن (نواف) لم يفهم السؤال حينما سأل:

- ماذا؟!

(حازم) بصرامة:

- إلى متى سنخفيه، هل سنخفيه بقية عمره، وما أدراك أنهم لن يتوصلوا إلى مكانه بطريقة أو بأخرى، بل ما أدراك أنهم لن يتوصلوا إلى طريقة لتشغيل الجهاز بدون بصمة الإصبع؟!

همس (محمد):

- جهاز حمايتي قوي، ولكني لا أعلم شيئًا عن تكنولوجيتهم، وبالتأكيد لست أحب أن أقضي بقية حياتي هاربًا، كما أن هذا سيكون صعبًا للغاية.

أدار (نواف) عينيه بينهما، وهو يقول بانزعاج:

- إذن ماذا سنفعل؟!

أجابه (حازم) بنفس الصرامة:

- الحل الوحيد أمامنا، هو أن نواجه.. وننتصر.

تبادل (محمد) و(نواف) النظرات قبل أن يسأل الأول:

- وكيف يحدث هذا في رأيك؟!

(حازم):

- لدي خطة ما، ولكننا نحتاج مساعدتك يا سيد (نواف).

وأخذ يملي عليهم خطته..

المجنونة..

***

دلف (ثروت) و(عشري) من باب غرفتهما في أحد الفنادق بمكة والأول يقول بحنق:

- لست أصدق أننا نفعل هذا ثانية.

ألقى (عشري) بجسده المكدود على أقرب مقعد وهو يقول بغيظ: - ولا أنا، لقد أفلتنا في المرة الاولى بأعجوبة، لقد ظننت أننا تجاوزنا الجزء الأصعب من هذه المهمة اللعينة، فأجد نفسي مضطرا لتكراره مرة أخرى، بل ثالثة.

جلس (ثروت) بدوره وهو يقول:

- وهذه المرة أصعب، فنحن لا نعلم أبدًا مكان هذا المهندس هذه المرة، ومهمة البحث عنه تبدو أشبه بالبحث عن إبرة في مخزن للقش.

أضاف (عشري):

- كل هذا مع حالة التوتر في البلاد بسبب الأحداث الأخيرة.

اعتدل (ثروت) وهو يمسك بريموت التلفاز قائلا:

- حقا، لابد أن نعرف أخبار ما حدث بعد تلك المواجهات، حتى لا نتحرك تحركات عشوائية تؤدي إلى...

بتر عبارته وهو يتطلع إلى شاشة التلفاز وهو يقول:

- رباه، أترى ما أراه؟!

أجابه (عشري) متطلعا بدوره إلى الشاشة:

- نعم، يالنا من وغدين محظوظين، لقد علمنا مكانه الآن.

(عشري):

- هيا بنا إذن لا نضيع لحظة واحدة.

التقط الاثنان حقائبهما المحتوية على أسلحتهما المتطورة، وخرجا سريعًا من الحجرة تاركين التلفاز مضاء، وعلى شاشته خبر يفيد بنقل المهندس (محمد المصري) أحد ضحايا الهجوم الغاشم على مصنع الالكترونيات، إلى مستشفى (الصفا) الخاصة على حدود المدينة بناءً على طلبه لاستكمال علاجه..

وبدا واضحًا أن المواجهة قد بدأت للتو..

المواجهة الحاسمة..

والأخيرة..

***

الفصل الأخير

توقفت سيارة سوداء ضخمة رباعية الدفع في ساحة مستشفى (الصفا) الخاصة، قبل أن يندفع اثنان من ركابها، إلى داخل المستشفى، ويتوجهان مباشرة نحو مكتب الاستقبال ليبادر أحدهما موظفة الاستقبال الحسناء، متسائلاً بصوت فظ خشن:

- أين نجد غرفة السيد (محمد مؤمن المصري)؟!، فنحن زميلاه في العمل، ونود رؤيته للاطمئنان على حالته الصحية.

نظرت الممرضة في شاشة جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها، وهي تنقر على الازرار، وفوق محيّاها ارتسمتْ ابتسامةٌ هادئةٌ، ثم أشارت بيدها قائلة في لباقة وذوق:

- السيد (محمد) يتلقى العلاج الآن في الغرفة الوسطى في الطابق الثالث، ولكن الزيارة محظورة، لابد أولًا الحصول على تصريح من مدير الأمن السيد....

ولكنها فوجئت بتجاهل كلامها، ومُحدثها يسرع الخطى مع رفيقه باتجاه مصعد المبنى ويدلفان إليه بسرعة، غير عابئين بصياحها، وهي تنادي على أفراد أمن المستشفى، وفي تلك الاثناء ومن داخل حجرة المراقبة والرصد،

كان (حازم) ينظر في شاشة مراقبة ضخمة مُقسمة إلى عدة أجزاء، وأشار بيده هاتفًا في حسم:

- هذان المجرمان المسؤولان عن تفجير مصنع الاليكترونيات يا سيد (نواف)، فليستعد رجالك لإلقاء القبض عليهما.

هز (نواف) كتفيه، وقال في غيظ:

- ياللصفاقة..هكذا يظهران علانية بدون تخفي.

(حازم) بلهفة:

- فلنسرع باقتناص الفرصة، ولنناقش مسألة جرأتهما هذه فيما بعد.

فعلى شاشة المراقبة بدت صورتا (عشري) و(ثروت) وهما يغادران المصعد إلى الطابق الثالث، ويسيران جنبًا إلى جنب، في ممر الطابق متوجهين نحو هدفهما!

ومن فوره قام (نواف) بالاتصال برجاله، ثم انتزع سلاحه من غمده، وهو يعدو نحو الطابق الثالث، وفي إثره (حازم)، وهناك من قلب الممر المؤدى إلى الغرفة المنشودة، انطلق(عشري) و(ثروت) ولكن إذ فجأة وعلى بعد خطوات من بلوغ هدفهما، تنبعث نغمة مميزة من جهاز الاتصال المعلق في حزام (ثروت)، فيلتقطه بسرعة ويرفعه بمحاذاة وجهه، وإذ به يهتف محنقًا:

- تراجع يا (عشري).. إنه فخ.. فخ لعين.

قالها وهو يستل سلاحه المُعلق في جراب تحت إبطه، وجاوبه(عشري) بالمثل، وهو يلتقط سلاحه بيسراه، ويشهره أمام وجهه، ليفتح الجحيم أبوابه على مصراعيها!

إذ فتح باب الغرفة ليندفع منه ثلاثة من رجال الأمن السعوديين، يوجهون فوهات مسدساتهم نحو (عشري) و(ثروت) وما إن هموا أن يأمروهم بإلقاء اسلحتهم والاستسلام، دون قيد أو شرط، حتى جاوبهم (عشري) بوابل من حزم الأشعة المدمرة، قضت على أحدهم في الحال، وأصاب الثاني إصابات مميتة، قبل أن يتراجع الأخير ليحتمي بجدار الغرفة!

وفي إثر ذلك دوت صفارات الإنذار في المستشفى، وعلى الفور عاد (عشري) و(ثروت) أدراجهما، ليجدا في مواجهتهما أحد رجال أمن المستشفى عند نهاية الممر، فأطلق (ثروت) أشعة سلاحه، لتنفجر في جسد رجل الأمن المسكين، ومن شدة الاشعة طار بجسده ثلاثة أمتار إلى الخلف، قبل أن يرتطم ظهره بالمصعد ويسقط على وجهه جثة هامدة، مضرجًا في دمائه!

فأطلق (ثروت) زفرة حارة هاتفًا:

- القائد (تولا) بعث لي في التو بالإحداثيات الحقيقية لمكان تواجد العالم المصري.

(عشري) في مقت:

- ونحن وقعنا كالبلهاء السذج في هذه المصيدة الحقيرة.

- فلنعد أدراجنا في الحال.

قال (ثروت) عبارته الغاضبة هذه، ولم يتبادل بعدها حرف واحد مع رفيقه، بل أخذا يشقان طريقهما إلى خارج المستشفى بالنار والدم، حتى تفجرت في كافة طوابق المستشفى موجة هائلة من الرعب والفزع، مع دوي تبادل إطلاق النار، مما أدى لحالة من الهرج والمرج يسودان المكان، والأطباء والممرضات وحتى المرضى يندفعون من كل حدب وصوب للفرار بجلدهم من هذا الجحيم المُستعر، وهنا شعر المقدم (نواف) أنه فقد السيطرة على الموقف تمامًا!

وبمحصلة ما آلت إليه الامور، نجد أن (ثروت) و(عشري) قد نجحا في الخروج من المستشفى، بأقل الخسائر الممكنة، (عشري) برصاصتين أحدهما في فخذه، والاخرى في ذراعه، أما (ثروت) فأصيب برصاصة احتكت بعنقه، وتجاوزته مُخلفة جرحًا غائرًا لحسن حظه!

استقلا السيارة التي انطلق بها (ثروت) على الفور، و(عشري) بجواره يتلوى من الألم الشنيع، والأول يحاول جاهدًا إيقاف نزيف عنقه، ويهتف بالثاني قائلًا:

- تماسك يا صديقي، فللأسف لا وقت لدينا لإسعاف أنفسنا، فلنأسر هذا المصري أولًا، ثم نجد طريقة لذلك.

أطلق (عشري) سبة بذيئة، ثم عض على شفتيه من شدة الألم، بعدها قال في بغض:

- سحقًا لهذا المصري، وما تكبدنا من مشقة لإحضاره، فالألم فظيع ولا يطاق يا صاح.

في تلك اللحظة وصلت السيارة إلى هدفها، وكان الهدف فندقًا متواضعًا يبعد كيلومترين فقط عن مكان مستشفى (الصفا)، لذا وصل إليه (ثروت) سريعًا، ومن هناك على مرمى بصره لمح الرائد (حازم) وهو يعدو للخروج من بوابة الفندق برفقة المهندس (محمد)، في اتجاه سيارة (بورش) حمراء فهتف في بغض:

- تبًا لك أيها الحقير، على جثتي أن تفر مني هذه المرة أيضًا.

قالها وقام بضغط دواسة الوقود ليزيد من سرعة سيارته، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها (البورش) الحمراء، وبدأت مطاردة رهيبة لم تشهدها الشوارع الهادئة للمدينة المقدسة من قبل قط!

وكان من سوء حظ الرائد (حازم) أن سيارة مطارديه أكثر سرعة وقوة، حتى أنها بلغته في لحظات معدودة، وسارت بمحاذاته، ورأى (محمد) فوهة سلاح متطور تبرز من نافذتها الجانبية، فصاح في ارتباك ملحوظ:

- احترس يا (حازم).

مال(حازم) بالسيارة إلى اليسار، في حركة حادة عنيفة، وسمع أزيز الأشعة يرتطم بجسم السيارة من الخارج، مع تهشم زجاج النافذة بجواره، فالتقط

مسدسه وأطلق الرصاص على مهاجمه، في نفس اللحظة كان (عشري) قد أطلق أشعة سلاحه مرة أخرى!

وبتوافق مدهش تلاقت الأشعة الليزرية بطلقات الرصاص، في المسافة بين السيارتين، فنجحت الأشعة الساحقة في صهر الرصاص وإذابته، محدثة انفجارًا عنيفًا، كاد أن يؤدي إلى انقلاب (البورش) التي تركت الطريق وانحرفت إلى اليمين حتى أن جانبها الأيمن قفز إلى الرصيف، واحتك بأعمدة الإنارة وتصاعدت مع احتكاكهما شرارات نارية مخيفة!

تخلى (حازم) عن سلاحه بسرعة، وقام بمهارة بإحكام سيطرته على عجلة القيادة، ليعيد السيارة إلى قارعة الطريق بصعوبة بالغة!

ثم زاد من سرعة سيارته، محاولًا الفرار من مطارديه، وانطلق بسيارته في خط متعرج، وفي تلك اللحظة كانت سيارة (ثروت) تنقض على سيارته مرة أخرى، فهتف (حازم) غاضبًا:

- التقط المسدس يا (محمد) وصوب على الإطارات.

فعل (محمد) ما أشار عليه حازم بفعله، وأطلق بالفعل ثلاثة رصاصات نحو إطارات سيارة مهاجميه التي كانت تنطلق من خلفهما، ولكن لعدم إحكامه التصويب جيدًا، طاشت رصاصاته لتصيب جسم السيارة، وهتف في حنق:

- انطلق في طريق مستقيم يا (حازم)، فأنت لا تمنحني الفرصة للتصويب بدقة.

ضغط (ثروت) دواسة الوقود، لتندفع السيارة حتى وصلت لمحاذاة سيارة (حازم)، ثم مال بها إلى اليسار في عنف، فارتطم بالجانب الأيمن لل(بورش)، وقام بدفعها إلى اليسار، قبل أن يدور لمواجهتها، وينطلق نحوها مباشرة، وهو يطلق صرخة وحشية، هاتفًا في صوت أجش شديد الوقاحة والغلظة:

- فلتذهبا إلى الجحيم بلا عودة.

حاول (حازم) أن يبدو قوي الشكيمة، وهو يضغط دواسة وقود سيارته بدوره ليقفز بها مبتعدًا عن نطاق سيارة خصمه، إلا أن (ثروت) عاجله بأن ارتطم بمؤخرة سيارته في قوة، جعلت سيارة (حازم) تدور حول محورها على نحو مخيف، قبل أن ترتطم بجدار المبنى المجاور في قوة، وتنقلب على جانبها، وتزحف على هذا الوضع الكارثي، لبضعة أمتار أخرى، قبل أن تتوقف عن الحركة، وتستقر على قمتها وإطاراتها تدور في الهواء، والدخان يتصاعد منها في شدة!

وظهر جليًا أن (ثروت) لم يعد يبالي بأوامر (تولا) الخاصة بإحضار (محمد) حيًا، وقرر إحضار يديه عوضًا عنه، وهو يدفع عصا النقل إلى الموضع رباعي الإطارات لينطلق نحو سيارة (حازم)، الذي لمحه وهو يحاول جاهدًا، جذب المهندس (محمد) مستنفرًا عزيمته للخروج من السيارة المقلوبة، قبل حدوث الارتطام الذي سيودي بحياتهما حتمًا!

و(حازم) يصرخ في صديقه قائلًا في قلق:

- ساعدني يا صديقي كي ننجو.

عندها شحذ (محمد) كل قواه، لتنطلق عبر عروقه دفقة من هرمون الادرينالين، المسؤول عن النشاط الزائد للقلب والأعصاب والعضلات الذي تفرزه الغدة فوق الكلوية، لزيادة كفاءة الجسم، في حالات الخطر الشديد..

وبمؤازرة (حازم) نجح (محمد) في دفع جسده خارج السيارة المقلوبة، في نفس لحظة حدوث الارتطام العنيف لسيارة (ثروت) الذي أطلق سبابًا غاضبًا ساخطًا!

وبعد أن صار (محمد) و(حازم) خارج السيارة، أخذا يحاولان الابتعاد عن المكان بسرعة، ولكن جسديهما المثخنين بالجراح والسحجات والكدمات، أعاقا حركتهما فجعلاها بطيئة جدًا، مما مكن (ثروت) و(عشري) من اللحاق بهما بسهولة، فالتمعت حدقتا (عشري) وهو يقول بجنون:

- هنا نهاية المطاف أيها الملاك الحارس.

قالها وهو يطلق أشعة سلاحه نحو ساق الرائد (حازم) فنجح في إصابته إصابة مباشرة ليهوي أرضًا، وصرخة ألم هائلة تسبقه، فالتفت إليه (محمد) من الوضع راقدًا، هاتفًا في إعياء:

- سحقًا لك أيها المجرم.

حدق (عشري) في كفه المبتورة، وهو يصوب سلاحه في اتجاه (حازم)، ويهتف في مقت:

- ستموت يا هذا، جزاء بترك لذراعي.. ستموت ولو كان هذا أخر شيء أفعله في حيااااتي.

قرن القول بالفعل، وهو يضغط بسبابته كرة الليزر لتنهمر منها الأشعة الساحقة، نحو جسد الرائد(حازم)، في نفس اللحظة تقريبًا التي دار فيها الأخير بجذعه على الأرض دورة كاملة، وساقه تصرخ من الالم، محاولًا تفادي حزمة الأشعة الفتاكة، وهو يجاوب غريمه بالمثل، ويشهر مسدسه ويطلق النار!

لتطلق من فوهة المسدس الرصاصة الوحيدة الباقية في خزنته، وكانت بالفعل رصاصة صائبة!

إذ استقرت الرصاصة في منتصف جبهة (عشري) بالضبط، وفي أعقابها نشأ ثقب صغير سالت منه دماء الحياة على وجهه الذي امتقع بشدة، غير مصدق أن يلقى مصرعه بهذه الطريقة، قبل أن يهوي أرضًا جثة هامدة!

وفي إثره احتبست الكلمات في حلق المهندس (محمد) وهو يحدق بذهول في الرائد (حازم) بعد أن أسبل جفنيه، وسقطت رأسه على صدره!

ومن بعيد ارتفعت أبواق سيارات الشرطة، التي تندفع نحو موقع القتال الناشب، الا أن (ثروت) أطلق صرخة غاضبة لفت أجواء المكان، حدادًا على

إزهاق روح رفيق كفاحه الإجرامي، وظهر وكأنه لا يأبه لقدوم رجال الشرطة، وهو يستل من حزامه كرة شفافة، ضغط بقعة في منتصفها، قبل أن يلقي بها في الهواء نحو المهندس (محمد) الذي انهار أرضًا مستسلمًا بجوار جسد الرائد (حازم)، وبدا يائسًا محطمًا لا يبالي حتى بما يدور حوله!

والكرة اللامعة تتوقف مُعلقة في الهواء، ثم أخذت تتسع وتتضخم لتتحول إلى فقاعة هائلة، سرعان ما أحاطت بجسد المهندس المصدوم حتى احتوته وغمرت أعطافه تمامًا، ثم راحت الفقاعة تنكمش وتتقلص حتى استقرت في النهاية على سيرتها الأولى، تقلصت به حتى صار في حجم عقلة الإصبع حرفيًا!

زفر(ثروت) قبل أن يلتقط الفقاعة ويثبتها في حزامه جيدًا، هاتفًا في مرارة ممزوجة بالغبطة:

- أخيرًا أيها المصري، أصبحت بحوزتي.

قالها وهو يضغط زر جهاز الإخفاء، الذي بدأ عمله قبل وصول رجال الشرطة إلى موقع الحادث الرهيب، متأخرين كالعادة.

غير مدركين أن النهاية آتية لا ريب،..

وأنه لم يعد هناك أمل للأرض في النجاة من الغزو..

لم يعد هناك أدنى أمل.

***

بدا مشهد شروق الشمس في عالم (جاتا)، القادم منه (تولا) ساحرًا مبهرًا في عيني المتأمل الرشيد، وإن غفل عن ذلك المنظر الخلاب القائد (تولا) الذي كان متواجدًا في تلك الأثناء، في بقعة منعزلة على سطح كوكب صناعي يدور في فلك سماء عالمه، مُستغرقًا بكيانه كله في أحلام الزعامة والسيطرة من قلب حجرة متوسطة المساحة، جالسًا على كرسي وثير، يتابع عن كثب، تلك القاعة الهائلة ذات الجدران السميكة المنيعة المزودة بعوازل للصوت، وما يدور فيها من استعداد جيشه الخاص لغزو الأرض، كان العمل في القاعة يسير على قدم وساق، وجيش كامل من كائنات هذا الكوكب تتهيأ لهذه اللحظة المرتقبة الفارقة!

حتى أنه لم ينتبه لاستعادة المهندس (محمد) لوعيه، إلا والأخير يسعل في حدة، وبدا عليه التوتر والارتباك، وهو يعتدل بجسده على فراش نظيف، متسائلًا بصوت خفيض:

- أين أنا؟!

استدار إليه (تولا) بجسده وأجابه في فظاظة:

- أنت في عالمي أيها الأرضي.

بوجه يعتريه الشحوب، رفع (محمد) يده المرتجفة وهو يقول:

- ماذا تريد مني يا هذا؟!

تخلى (تولا) عن مقعده، وجلس على طرف الفراش، وتألقت عيناه في وضوح هاتفًا:

- أنت تعلم جيدًا ماذا أريد بالضبط.. فإما أن تقوم بتعديل تصميم الجهاز، أو أجعلك تتمنى لو أنك لم تحيا في هذا الزمن.

ازدرد(محمد) لعابه بصعوبة، ليرطب به حلقه المتحشرج، وحاول أن يبدو متماسكًا، ولكن نبرة صوته خانته وهو يغمغم متوترًا:

- عذبني أو حتى اقتلني.. فلن أضحي بعالمي في سبيل أن أحيا.

حك (تولا) ذقنه بسبابته، وانعقد حاجباه بشدة، وهو يهتف غاضبًا:

- لست أنت من سيموت، بل..

بتر عبارته بغتة، وأصابعه تفرقع في الهواء، ليرتفع على إثر حركته جدار معدني كاشفًا عن حجرة جانبية، يحول بينه وبينها زجاج أحادي الرؤية، طالع (محمد) من خلاله وجه ذلك الشخص الذي كان في مواجهته تمامًا، وهو يجلس فوق المقعد الوحيد الموجود بالحجرة، شخص يعرفه المهندس (محمد) تمام المعرفة، لذا سرت في جسده ارتجافة باردة، وهو يتمتم في ذهول مُطلق:

- (حازم)!!..مستحيل.. لقد رأيتك بأم عيني تلقى مصرعك، فكيف عدت للحياة؟!

قهقه (تولا) ضاحكًا، ثم قال بأسلوب فظ خشن:

- الموتى لا يعودون للحياة في الدنيا، بل تعرض صديقك لفقدان وعي، من شدة إصاباته وفقدانه الكثير من دمائه، ولكي أجعله ورقة مساومة، أمرت (ثروت) باختطافه وجلبه إلى هنا، وبوسائلنا المتطورة نجحنا في أن يتماثل للشفاء سريعًا، وها هو الآن أمامك سليمًا معافًا.

ثم استدار (تولا) إليه وتألقت عيناه مستطردًا في صرامة:

- لك الاختيار.. تنفذ ما آمرك به، أو يموت صديقك بلا رحمة.

ظهر الوجوم على قسمات وجه (محمد)، وأسقط في يده، فحياة صديقه على المحك، وهما الان أسيران في عالم آخر، تحت رحمة طاغية باطش قد قلبه من جلمود صخر!

لذا اشتعل عقله بالتفكير في مخرج من هذا المأزق الصعب، درس جميع الاحتمالات من كافة الوجوه، واستخلص النتائج، ليهديه تفكيره إلى أن يخفض عينيه المذعورتين ويغمغم في انهيار:

- فليكن.

كان هذا إقرارًا بالرضوخ لطلب (تولا) الذي انفرجت أساريره، وتنفس الصعداء أخيرًا، فها هو حلمه قاب قوسين أو أدنى من أن يتحقق!

وعلى مدار يوم كامل انهمك المهندس(محمد) في إجراء التعديلات المطلوبة على تصميم جهازه، ليصبح في نهاية اليوم متوافقًا مع طلب (تولا) الذي

التقط الجهاز على حالته الجديدة، وألقى عليه نظرة فاحصة، قبل أن يرفعه بمحاذاة عينيه، هاتفًا وعلى وجهه نظرة مفعمة بالظفر:

- أخيرًا!

قالها ثم وضع جهاز الأبعاد في المكان المخصص له، والتفتت يشير بعلامة النصر إلى أفراد جيشه المتراص بانتظام داخل مركبات متطورة تسبح في الهواء، في انتظار نقطة الصفر، التي سينطلقون منها نحو هدفهم لإخضاعه تحت سطوتهم!

وفي تلك الاثناء ظهر المهندس (محمد) بوجه شاحب مضطرب كوجوه الموتى، وتحت وطأة سلاح مدمر مصوب نحو عنق الرائد (حازم)، أخذ في تردد ينقر على أزرار جهاز الأبعاد، ليتزامن مع حركته التماعة لسان برق في الفراغ، تعاقب بسرعة مدهشة، وهو يظهر ويختفي!

وكأنه يومض وينطفئ!

واكبه زئير رعد!

ثم دوى في المكان فرقعة قوية!

وسرعان ما نشأت فجوة محدودة يحيط بها قوس من اللهب، تتطاير من قلب الفجوة شرارات كهربية عنيفة تُضيء بألوان طيف تحجب رؤية الجانب الآخر من الفجوة!

وأخذت الفجوة في الاتساع باطراد، و(محمد) يواصل نقر أزرار جهازه، والفجوة تتسع وتتسع، لتستقر في النهاية على مساحة ملعب كرة قدم، وارتفاع خمسة طوابق!

فجوة تكفي بالفعل لمرور جيش جرار بكامل عتاده!

ودفعة واحدة!

وهذا ما حدث بالفعل، والقائد (تولا) يندفع داخل مركبته المتطورة على رأس جيشه لاختراق الفجوة بحماس منقطع النظير، وصرخاتهم تنبعث من الحناجر تلهب الأجواء المكفهرة!

ومن خلف حشود جيش (تولا) دوت فرقعة قوية، واكبها تلاشي الفجوة تمامًا بين العالمين، لتختفي من الفراغ، كأنها لم تكن من الاساس!

وبمجرد أن صار (تولا) داخل حدود العالم الآخر هاله ما رآى!

عندما طالعته شمسان مشرقتان، وطقس يلفه اللون الأزرق من كل جانب، تتخلله مكعبات، ومثلثات طائرة!

لم يكن كوكب (الأرض) الذي نعرفه هو ما يتعرض للغزو في تلك اللحظة، بل كان عالمًا آخر مختلفًا تمامًا!

عالم عجيب مُتقدم يتشح باللون الازرق!

لذا صرخ (تولا) وهو يهتف بغضب الدنيا:

- لقد خدعتني.. ويل لك مني أيها الأرضي.

قالها وهو يحدق مشدوهًا في السفن الفضائية الهائلة التي كانت تحلق في الفضاء، وكأنها في انتظاره، والتي أخذت الاطباق الطائرة تتدفق من أسفلها أفواجًا وأسراب!

وبمجرد أن ظهرت الاطباق الطائرة خارج نطاق السفن الفضائية، تهيأت للاشتباك الفوري، وعاجلت بإطلاق أسلحتها المدمرة، كسيل العرم نحو مركبات الغزاة!

فصرخ (تولا) صرخة رهيبة، تردد صداها طويلًا، وهو يتميز من الغيظ:

- سأعوووود.

قالها وهو يستعد للاشتباك ويطلق أسلحة مركبته، نحو طبق طائر قام بالهجوم عليه، وكان هذا إيذانًا برضوخه مجبرًا لهذا التحدي، ومن خلفه جيشه الزخيم، ليخوض غمار حرب شعواء بين الابعاد، لن تنتهي الا بسحق أحدهما للآخر!

حرب ضروس قد تحمل نتائجها النهائية لعالمنا مرة أخرى الخطر..

الخطر الأسود.

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

نبذة عن المؤلفين:

راضي عبد المقصود السيد

مؤلف وروائي مصري، من مواليد فرسيس بمحافظة الشرقية عام ١٩٧٨م.

صدرت له رواية «لحظات حرجة» عن دار إبداع عام ٢٠١٤م، وكذلك رواية «مقبرة الغموض» عن دار السعيد عام ٢٠١٨م، وأخيرًا المجموعة القصصية «نقطة الانفجار» عن دار ابهار عام ٢٠٢١م.

للتواصل مع الكاتب:

radiabdo.radiabdo@yahoo.com
facebook.com/RadyAbdElmaksoudElsaed

وائل عبد الرحيم

كاتب وروائي مصري، من مواليد القاهرة عام ١٩٧٨

صدر له سابقاً: رواية اكوان عام ٢٠١٧، رواية فوبوفوبيا عام ٢٠١٩، كتاب يوميات فني أشعة عام ٢٠١٩، نوفيلا المصيدة عام ٢٠٢٠، رواية أكوان ٢ عام ٢٠٢٠، مجموعة قصصية جدار النار عام ٢٠٢١، مجموعة قصصيرة يوميات شبح عام ٢٠٢١، مجموعة قصصية كوكب الغد عام ٢٠٢١



برج سانت فاتيما. أمام جنينة مول. مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing